عَقِيدَةُ النَّصَارَى[١]

في نور

القُرْآنِ الكَرِيْمِ وَ السُّنَّةِ الشَّرِيفَةِ

(الطبعة الثانية المنقحة)

دراسة بقلم :

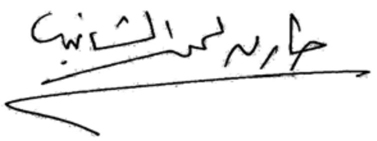

© **حقوق النشر و الطبع و التوزيع :** ملك عام للجميع بشرط عدم التغيير في المحتويات .

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّنۢ بَعْدِ إِيمَٰنِكُمْ
كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم مِّنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلْحَقُّ ۖ فَٱعْفُوا۟
وَٱصْفَحُوا۟ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ١٠٩

قرآن كريم - سورة البقرة

مقدمة الطبعة الثانية

الحمد لله رب العالمين و الصلاة و السلام على رسوله الكريم و على اله و صحبه و بعد ،،،

بعد ظهور دراستي هذه و انتشارها في بعض المواقع على شبكة الأنترنت وصلتني العديد من رسائل البريد الإلكتروني ما بين مؤيد و معارض . أما المؤيدين فيظنون أنني قد دخلت في تحدي مع بعض القساوسة فيما يعرف بالمناظرة ، و أما المعارضين فهم رافضون لموضوع فتح باب المناقشة مع النصارى برمته ؛ استجابة لقول المولى ﷻ في كتابه العزيز : ﴿ **لَتبلونّ فِي أموالِكُم وأنفُسِكُم ولَتسمعن مِن الّذِين أوتوا الكِتاب مِن قَبلِكُم ومِن الّذِين أشركُوا أذًى كَثِيراً وإن تصبِروا وتتقُوا فَإِنّ ذَلِك مِن عزمِ الأمور** ﴾ [1] .

و أقول لهؤلاء المؤيدين أنني لم أُقبِل على دراستي هذه إلا لتبيان الحق ، ما قصدت بها التحدي ، و لا أريد بها مجدا و لا فخارا . بل كل مرادي هو الإجتهاد في إزالة بعض الشبهات عن كتاب الله قد تكون قد علقت بأذهان البعض منا .

أما المعارضين فأقول لهم أنني لم أخرج عن أمر هذه الأية الكريمة ، فنحن لا نعد لمن أخطأ في حق كتاب الله العدة و لا نريد فتنة ، إنما كل ما نريده هو توضيح بعض الأمور بالقول اللين كما قال الله ﷻ في كتابه : ﴿ **ولا تجادِلُوا أهلَ الكِتابِ إلاّ بالّتِي هِي أحسن إلاّ الّذِين ظَلموا مِنهم وقُولُوا آمنا بِالّذِي أُنزِلَ إلَينا وأُنزِلَ إلَيكُم وإلَهنا وإلَهكُم واحِد ونحن لَه مسلِمونَ** ﴾ [2]، فالمطالع لهذه الدراسة لن يجد إلا رؤية نقدية إسلامية باسلوب علمي و موضوعي لا نسلك فيه مسلك البذاءة في القول و لا الإسفاف في المعنى .

و أخيرا ، أهمس في أذن اخواني النصارى الذين ارسلوا إليّ وقد رفعوا لواء (الوحدة الوطنية) و أقول لهم : يا من ظننتم أن العصا الغليظة هي الحل الأمثل لتكميم الأفواه ، و منطوق (الوحدة الوطنية) سوف يعطيكم الحق في أن تتدللوا فلا ينطق أحد إلا بما يوافقكم و يرضيكم أقول لكم : إن الزمن قد تغير ، و المصير واحد !.. أنتم اخوتنا و شركائنا في هذا الوطن ، و مهما علا صوت الحوار و التهبت معارك الفكر و النظر فإن الغاية يجب أن تكون فوق كل اعتبار ؛ ألا و هي الوصول للحقيقة .. و الحقيقة المجردة .

و أخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين و السلام عليكم و رحمة الله تعالى و بركاته .

٢٠٠٥/٤/١٥

---

[1] آل عمران : ١٨٦

[2] العنكبوت : ٤٦ .

مُقَـــدّمَــةٌ

الحمد لله و الصلاة و السلام على رسول الله و على آله و صحبه و سلم ، و بعد .

عندما سطعت شمس الحق ببعثة النبي ﷺ منذ أربعة عشر قرنا انتشر الإسلام في كافة بقاع الأرض حتى بلغ أبواب الصين شرقا و تغلغل في أوروبا غربا ، و بلغ ارمينية و روسيا شمالا حتى منابع النيل في إفريقية جنوبا . و كانت الدعوة للإسلام تسلك مسلكا سلميا في هذه البقاع كما قال الله ﷻ في كتابه الكريم : ﴿ **ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن إن ربك هو أعلم بمن ضلّ عن سبيله وهو أعلم بالمهتدين**﴾[١] و لم يسجل التاريخ حاله واحدة لإدخال أهل البلاد في دين الله بالقوة ؛ و ذلك لأن إسلام المكره لا يجوز و من أجل هذا وضع القرآن الكريم هذا المبدأ : ﴿ **لا إكراه في الدين قد تبين الرشد من الغي ...** ﴾[٢] ، و قد حافظ المسلمون على هذه المبادىء طوال فترة الفتوحات الإسلامية ؛ و لذلك استجاب الناس للإسلام و دخلوا في دين الله أفواجا .

و لأن الرقعة التي انتشر فيها الإسلام كانت أساسا عامرة بأهل الكتاب ممن يدينون بالنصرانية و اليهودية ، الأمر الذي حتم على من آثر منهم البقاء على عقيدته أن يبرر رفضه للدين الجديد خاصة و قد قبل خيار الجزية . فالذين فضلوا البقاء على عقيدتهم وجدوا أنفسهم مضطرين للإجابة على هذا السؤال الهام : (لماذا لم يختاروا الإسلام ؟) ، فكان عليهم أن يشرحوا موقفهم بالضبط و يبرروه تبريرا معقولا ، و كان شرحهم و تبريرهم مشتملا بالضرورة على نقد للإسلام ، و يتضح ذلك جليا من كتابات بعض رؤساء النصارى الدينيين في تلك الفترة . فمثلا نجد يوحنا الدمشقي (المتوفى سنة ٧٤٩م) يقول دفاعا عن بقائه على عقيدته : (*إن المسلمين قد قبلوا الإسلام و القرآن دون شاهد واحد على صحة رسالة محمد ؛ أي دون أن يأت محمد و لو بمعجزة واحدة*)[٣] ، كذلك لجأ بولس الراهب أسقف صيدا في القرن الثالث عشر الميلادي إلى تحريف بعض أيات القرآن الكريم في رسالة بعثها إلى بعض أصدقائه المسلمين بهدف جعل القرآن الكريم مساندا لوجهة نظره في القول بألوهية المسيح عليه السلام و بأن الإسلام لا يصلح لغير العرب[٤] ، كذلك في زمن الحروب الصليبية بالشام اندفع القسس و الرهبان الفرنجة إلى دراسة كتب و مؤلفات المسلمين ، فظهرت أول ترجمة أجنبية للقرآن على يد بطرس الكلوني في ١١٤١م ، وكذا بزغت بعض الكتابات المعادية للإسلام من بعض كتاب الفرنجة في القرن الثاني عشر الميلادي مثل وليم الصوري و توماس أكويناس ، و وفد إلى بلاد الإسلام العديد من المنصرين الكاثوليك أمثال رامون لل القطالوني و الذي ظهر في المغرب عام ١٣٠٧م ، و وصفه معاصروه

---

[١] النحل : ١٢٥

[٢] البقرة : ٢٥٦

[٣] يوحنا الدمشقي و الإسلام – القس بولس خوري – معهد الدراسات الشرقية ببيروت – بدون تاريخ .

[٤] نفس المرجع السابق .

بأنه (أعظم مبشر وفد إلى ديار الإسلام)[1] ! و من الأسبان ظهر الكاتب المتعصب ألفارو عام ٨٥٤ م و الذي هاجم المسلمين و عقيدتهم أثر انتشار الإسلام السريع في الأندلس[2] .

و بالتالي كان أيضا لزاما على المسلمين أن يردوا على تلك الإتهامات و الشبهات فاندفعوا يدرسون الكتب المقدسة لدى النصارى ليجدوا فيه ما يمكنهم من الرد على خصومهم و بذا دارت عجلة الجدال الإسلامي / النصراني و التي لا تزال إلى يومنا هذا .

فعلى الجانب الإسلامي انتبه علماء و مفكري المسلمين إلى درء تلك الشبهات التي أثيرت حول الإسلام فخرجت بعض المؤلفات و الرسائل لكل العلماء تقريبا و إن كانت بعضها ليس ذات شهرة كرسالة أبي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ مثلا في الرد على النصارى و كذا القاضي عبد الجبار المعتزلي و هو من أئمة المعتزلة ، و رسالة القاسم بن إبراهيم اليمني الشيعي المسماه (**الرد على النصارى**) ، و كذا رسالة أبي البقاء صالح بن الحسين الجعفري المصري المسماه (**تخجيل من حرف الإنجيل**) .

أيضا يوجد العديد و العديد من مؤلفات كبار علماء الإسلام المشاهير في ذلك المضماركإبن حزم الأندلسي المسماه (**الفصل** في **الملل و الأهواء و النحل**) ، و حجة الإسلام أبي حامد الغزالي قد ألف كتابا بعنوان (**الرد الجميل لإلوهية عيسى بصريح الإنجيل**) ، كذلك شيخ الإسلام بن تيمية و كتابه المشهور (**الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح**) و الذي يعد مرجعا هاما لكل المهتمين بالرد على شبهات النصارى .

و في العصر الحديث ظهر في أواسط القرن التاسع عشركتاب (**إظهار الحق**) للشيخ الجليل رحمة الله بن خليل الرحمن الهندي ، و كان ظهوره كرد فعل على نشاط المنصرين الإنجليز في الهند و باكستان ، و قد تناول تفنيد عقيدة النصارى بأسلوب عصري مغاير للأسلوب القديم الذي انتهجه العلماء الأولين . و بعد انتشار وسائل الإعلام ظهر من جنوب افريقيا الشيخ أحمد ديدات و مؤلفاته العديدة في تفنيد العقيدة النصرانية ، وكذا ذاعت مناظراته المرئية لمشاهير القساوسة و المنصرين في أوروبا و أمريكا وكانت سببا في دخول الكثير من النصارى إلى الإسلام . هذا إلى جانب العديد و العديد من الباحثين المسلمين في المنطقة العربية الذين وجهوا دراساتهم للرد على الشبهات التي أثيرت حول الإسلام .

و لعل من أخطر الشبهات التي أثيرت حول الإسلام ذلك الإدعاء بأن كتاب الله الكريم قد حوي بين دفتيه ما يؤيد العقيدة النصرانية في صورتها الحالية و التي جاءت بصورة مغايرة لما جاء به عيسى عليه السلام ، ولسنا بصدد مناقشة أركان تلك العقيدة الغريبة و المنافية لأبسط قواعد العقل ، فما هذا هو مرادنا على الإطلاق . تلك عقيدتهم و هم أحرار لن نستطيع أن نحجر على أقوالهم! و قد سبقنا بمناقشتها علماء أجلاء بذلوا جهدا كبيرا و كلل الله عز وجل مساعيهم بالنجاح . و لكن ذلك الإدعاء بأن القرآن الكريم قد أيد مزاعمهم و ما يعتقدون ، فهذا حقا أمر كبير وكأنهم لا

[1] حضارة الإسلام – جوستاف إ. فون جرونيباوم ، ترجمة : عبد العزيز توفيق – الهيئة العامة للكتاب مصر ١٩٩٧ .

[2] نفس المرجع السابق .

يجدون ما يؤيد معتقداتهم في كتبهم المقدسة فطفقوا يبحثون عنها في كتب الأخرين !!.. أو بمعنى أخر : ألا توجد في الكتاب المقدس أدلة تثبتون بها صحة عقائدكم بدلا من اللجوء للقرآن الكريم ؟.. إن الديانة الحقة و العقيدة الصحيحة انما تستمد شهادتها من ذاتها و من صلاحيتها لتحقيق الخير للانسان ! فهل فكرتم في ذلك ؟!!

و قد صدرت عدة مؤلفات في هذا الصدد منها **سلسلة الأرضية المشتركة** بين **الإسلام و النصرانية** للقمص المخلوع زكريا بطرس (و الذي اشتهر بإسم *Servant_١٣*) ، و كتاب للبابا شنودة الثالث بإسم (**القرآن و المسيحية**) ، و كاتب أخر قد أصدر كتابه دون أن يذكر اسمه عليه و اسم الكتاب هو (**الأقاويل القرآنية** في **الكتب المسيحية**) ، و بعض المقالات و المباحث لبعض الكتاب النصارى مثل (**عقيدة الثالوث** في **الإسلام**) و قد ظهر في كتاب لحبيب سعيد اسمه (**أديان العالم**) ، و كذا (**ما يقوله القرآن و الحديث عن الكتاب المقدس**) و هو مبحث للدكتور وليم كامبل ظهر في كتابه (**القرآن و الكتاب المقدس** في **ضوء العلم و التاريخ**) .

و لنا تعقيبا بسيطا على هذه الكتب و الأراء و المباحث لعلماء النصرانية ، فالمعروف طبعا أنهم لا يعترفون بالإسلام كديانة من عند الله ﷻ و لا بمحمد ﷺ نبيا و رسولا و لا بالقرآن الكريم ككلمة الله ﷻ ، فلم الأن يستشهدون بأيات القرآن ؟!.. إن ما يستشهدون به لا يعترفون به أصلا ككتاب من عند الله ، فكيف يشهدون بأنه يحتوي على معتقدات صحيحة ؟!.. فنقول لهم قول الله ﷻ : ﴿ **..أفتؤمنونَ ببعضِ الكِتابِ وتكْفُرونَ ببعضٍ ..** ﴾[1]
أي لم لا تأخذون بباقي أقوال كتاب الله ؟ أو لم لا تؤمنون به أصلا ؟!

فإن كان ردهم كرد الأستاذ مكرم عبيد المحامي المصري الشهير و كان نصرانيا أراد محامي الخصم إحراجه في أحدى المرافعات عندما استشهد مكرم ببعض أيات القرأن الكريم ضمن مرافعته . قال له محامي الخصم : أتؤمن بما تقول ؟ فرد ردا سريعا : لا و لكن أستشهد بما تؤمن به أنت !.. و نقول إن كنت لا تؤمن به فاستشهادك به باطل ، و إن كنت تستشهد به فلم لا تقبله كله و قد أيد ما تريد ؟!.. و لكن إذا جاء القرآن الكريم بما تعتقد أنه صواب فهذا دليل على أن القرآن الكريم حقا صواب ؛ فلا يؤكد الحق إلا الحق ، و هذا هو سبب إسلام الكثيرين من النصارى عندما يشرح الله قلوبهم للحق .

و الكتاب الذي نحن بصدده اليوم هو كتاب (**المسيحية** في **الإسلام**) و قد صدر برعاية الكنيسة الأرثوذكسية المصرية ، و مؤلفه هو الأب الراحل القمص إبراهيم لوقا ، و يُباع في بعض مكتبات الكنائس غير انتشاره رقميا في بعض المواقع النصرانية على شبكة الإنترنت ، و قد اخترنا هذا الكتاب للرد عليه عن غيره من الكتب السالف ذكرها نظرا لجمعه لأغلب أركان العقيدة النصرانية و استدلاله على صحتها من القرآن الكريم بصورة مقوتة و متهافتة في حين تتعرض باقي الكتب لركن أو ركنين على الأكثر . فالرد عليه سيكون ردا على باقي تلك الكتب الهزيلة .

و قد استهله ناشروه بتصدير كتبوا فيه : (*والناشر إذ يزف هـذه الطبعة الخامسة المنقّحة، يهيب بالقـارئ العربي - إن رام ثقافة نظيفة - أن يقبل على قراءة هذا السفر النفيس بما يستحقه من روية وتفكير. عسى رعيل النزاهة*

[1] البقرة : ٨٥

يكثر، وذوي الضمائر الحية تزيد وتتسامى وتتجاوب، فيحق الله بهم الحق، ويجلو بواسطتهم ما ران ويرين على الحق الإنجيلي وشخص المسيح المبارك من متاهات التأويل والتخريج في عالمنا العربي والإسلامي، بقصد أو بغير قصد محاكاة لذوي الهوى والغرض) .

و ذلك أسلوب واضح الغرض ؛ إذ يريد به اجتذاب القارىء المسلم طبعا لا يهمه القراء النصارى فكثير منهم لن يقتنعوا بكلامه لعدم اقتناعهم بالقرآن ككتاب من عند الله ! ، و الحق إن استشهاده بأيات القرآن الكريم أو بالأحاديث النبوية أو بمؤلفات علماء التفسير أو غيره لم يكن بصورة علمية سليمة ؛ إذ كان ذلك بطريقة إجتزاء النصوص فيأخذ منها ما يتوافق مع مراده و لا يذكر بقية النص كما سيتم التنويه عليه في حينه . و يغض الطرف أحيانا عن الأيات التي تقطع بفساد عقيدتهم و تحريفهم لكتابهم و كأنها غير موجودة أصلا ، و هذا أقل ما يوصف به أنه عدم أمانة في التعامل مع النص . و الواقع إن حاله هو حال النصارى جميعا عندما يستشهدون بأيات القرآن الكريم فهم يتمسكون بأيات متشابهات و يتركون المحكم[1] كما قال الله ﷻ عنهم في كتابه الكريم : ﴿ **هو الّذِي أنزلَ عليك الكِتاب مِنه آياتٌ محكَماتٌ هن أم الكِتابِ وأخر متشابِهاتٌ فَأما الّذِين في قُـلُوبِهم زيغٌ فَيتبِعونَ ما تشابه مِنه ابتِغاءَ الْفِتنةِ وابتِغاءَ تأوِيلِهِ وما يعلَم تأوِيلَه إِلاّ اللّه والراسِخونَ فِي الْعِلْمِ يقُولُونَ آمـنا بِـهِ كُلّ من عِندِ ربنا وما يذّكّر إِلاّ أُولُوا الأَلْبابِ** ﴾ [2]

كذلك كان الفهم الخاطيء لمعاني أيات القرآن الكريم ذو تأثير كبير على أفكار المؤلف و قراءه من بعده ! و سواء كانت إساءة الفهم عن عمد أو عن ضلال فالنتيجة غير مرغوبة في النهاية و سنحاول فيما يلي توضيح الخطأ من الصواب . و الأن تعالوا نعيد معا دراسة ما كتب القمص إبراهيم لوقا .

اللهم وفقنا لما فيه الخير و الحق ، و اجعلنا سببا و لو بسيطا في صد أعداء الدين و إظهار خباياهم ، و اهـدنا جميعا لما اختلفنا فيه من الحق بإذنك ، إنك تهدي من تشاء إلى صراط مستقيم .

جارية أحمد الشاذلي
engi_build@hotmail.com
الإسـكندرية في ٢٠٠٤/١١/٤م

[1] المقصود بالأيات المحكمات أي هن أيات ظاهرات المعنى لا تأويل فيه ، أما الأيات المتشابهات أي ذات المعاني غير الواضحة للدارس غير المتعمق – راجع تفسير الجلالين .

[2] آل عمران : ٧

المبحث الأول :

القُرْآنُ الكَرِيمُ وعَقِيدَةُ النَّصَارَى

***

بسم الله الرحمن الرحيم

كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ
ٱلْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ ۗ وَلَوْ ءَامَنَ أَهْلُ ٱلْكِتَـٰبِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُم ۚ
مِّنْهُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ ٱلْفَـٰسِقُونَ ﴿١١٠﴾

قرآن كريم - سورة آل عمران

o تمهيد :

لا يأمر الإسلام أبدا بسوء معاملة أهل الكتاب بل على العكس ؛ نجد أن السيرة النبوية تحكي مواقف عن النبي ﷺ مع اليهود و النصارى و قد أوصى ﷺ بأقباط مصر خيرا لأن لهم ذمة و رحما ، و كذا التاريخ الإسلامي حافل بمواقف عديدة مع أهل الكتاب عامةً و دون تفرقة بينهم ؛ و ذلك لأن المسلم يفرض عليه دينه التسامح و حسن المعاملة مع الأخرين ، و لا يعتبر هذا تصريحا بصحة العقيدة الدينية ، و لكن للحرص على حسن المعاملة الدنيوية بين المسلمين و أهل الكتاب . و لكن من الناحية الدينية فهل شهد الإسلام بصحة عقيدة النصارى في الوقت الحالي ؟ بالطبع لا!؛ فهو يضع فرقا جليا بين عقيدة النصارى الحالية و عقيدة أتباع المسيح عليه السلام فيقول عنهم : ﴿ فَلَمَّا أَحَسَّ عِيسَى مِنْهُمُ الْكُفْرَ قَالَ مَنْ أَنصَارِي إِلَى اللَّهِ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنصَارُ اللَّهِ آمَنَّا بِاللَّهِ وَاشْهَدْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴾ [1] ، و قال أيضا تبارك و تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا أَنصَارَ اللَّهِ كَمَا قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ لِلْحَوَارِيِّينَ مَنْ أَنصَارِي إِلَى اللَّهِ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنصَارُ اللَّهِ فَآمَنَت طَّائِفَةٌ مِّن بَنِي إِسْرَائِيلَ وَكَفَرَت طَّائِفَةٌ فَأَيَّدْنَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَى عَدُوِّهِمْ فَأَصْبَحُوا ظَاهِرِينَ ﴾ [2] ، فهذه شهادة للحواريين بالصلاح و التقوى و أنهم اتبعوا تعاليم المسيح عيسى عليه السلام ما دام فيهم ، و لكن ماذا عن النصارى في الوقت الحالي على اختلاف مذاهبهم و فرقهم ؟ و الإجابة توضحها الآية التالية : ﴿ وَمِنَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَى أَخَذْنَا مِيثَاقَهُمْ فَنَسُوا حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُوا بِهِ فَأَغْرَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَسَوْفَ يُنَبِّئُهُمُ اللَّهُ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ ﴾ [3] ، فالآية توضح أن الله عز وجل قد أخذ ميثاقا من النصارى ألا يعبدوا إلا إياه ، فنسوا قسطا من هذا الميثاق و ابتدعوا في دينهم مالم يكن فيه ، فقسمهم الله سبحانه وتعالى أحزابا و شيعا تكفر كل واحدة منهم الأخرى ، و زرع بينهم العداوة الأبدية ، و حسابهم عند الله يوم القيامة و أيضا فصل ما كانوا فيه يختلفون .

و عن انحراف أهل الكتاب عن شريعة الله عز وجل نقرأ في سورة التوبة : ﴿ اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَٰهًا وَاحِدًا لَّا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ [4] و الأمر واضح و صريح ؛ فقد كان ميثاق الله لأهل الكتاب ألا يعبدوا إلاّ إياه لا إله إلا هو ، و لكنهم غالوا في محبة المسيح عليه السلام حتى اتخذوه معبودا لهم من دون الله ، كذلك أحبارهم و رهبانهم صاروا يتقدسون و يتباركون بهم و صاروا هم

---

[1] آل عمران : ٥٢
[2] الصف : ١٤
[3] المائدة : ١٤
[4] التوبة : ٣١

بالتالي يحلون لهم أمورا و يحرمون عليهم أمورا و ما كان لهم هذا ، و ذاك عبادتهم كما قال النبي ﷺ [١]. و هذا يدخل تحت مسمى الشرك بالله و الله المستعان .

o الفهم الخاطيء لمعاني القرآن الكريم :

و في ضوء التمهيد السابق إذا أعدنا قراءة ما كتبه المؤلف نجد أن كل أفكاره و استنتاجاته تدخل تحت مسمى الفهم الخاطيء لمعاني القرآن الكريم و هو ناتج عن :-

- اقتطاع الآية الكريمة من السياق التي وردت فيه فيتغير المعنى .
- تأويل الآية لتفسيرا بعيدا لا تحتمله ، و لا يذهب إليه جمهور المفسرين .

و لا يخرج المؤلف و لا بقية النصارى في استنباطهم المعاني و التفسيرات من أيات القرآن الكريم في الغالب عن السببين المشار إليهما ، فمثلا نجد المؤلف يقول : (*وفي القرآن آيات عديدة تحمل تصريحاً قاطعاً بالتفريق بين المسيحية والوثنية، وفيها يفصل الإسلام بين المسيحيين والمشركين... نأتي هنا - على سبيل المثال - بواحدة منها وهي التوبة ٩: ٥قَاتُلوا الْمشرِكِين حيثُ وجدتموهم وخذُوهم واحصروهم واقْعدوا لَهم كُلّ مرصدٍ فإذا تأملنا هذه الآية تأكد لدينا - ولدى كل مفكر - أنّ النصارى هم غير المشركين الذين أمر الإسلام بقتلهم، لأنّ الإسلام حقن دماء أهل الكتاب، ومنهم النصارى، إذا هم دفعوا الجزية (سورة التوبة ٩: ٢٩). ومن غير المعقول أنّ هذه الجزية تؤخذ عوض البقاء على الكفر، وبدل الإستمرار على الشرك، وإلا أضحى آخذوها - وهم المسلمون - شركاء في هذا الكفر والإشراك بالله، لما يكون في عملهم هذا من التجاوز عما لا يجوز فيه من حرام ومحظور. والكفر لا يشرى والإيمان لا يباع.*)

و حقا يتملكنا العجب من التأويل الظاهر لمعاني القرآن الكريم بما لا تحتمله ! ، فالآية الكريمة التي ذكرها المؤلف لا علاقة لها بأهل الكتاب بل هي أمر للمؤمنين بقتال المشركين الذين قاتلوهم و أخرجوهم من ديارهم ، و لنقرأ ما ورد في تفسير الجلالين عن هذه الآية : (**فَإِذَا انسلخ**) خرج (**الأشهر الحرم**) وهي آخر مدة التأجيل (**فَاقْتلُوا الْمشرِكِين حيثُ وجدتموهم**) في حل أو حرم (**وخذُوهم**) بالأسر (**واحصروهم**) في القلاع والحصون حتى يضطروا إلى القتل أو الإسلام (**واقْعدوا لَهم كُلّ مرصدٍ**) طريق يسلكونه ونصب كل على نزع الخافض (**فَإِن تابوا**) من الكفر (**وأَقاموا الصلاةَ وآتوا الزكَاةَ فَخلّوا سبِيلَهم**) ولا تتعرضوا لهم (**إِنّ اللّه غَفُورٌ رحِيمٌ**) لمن تاب . و نتساءل هل ورد ذكر لأهل الكتاب ؟! فكما نرى أن الآية الكريمة لا علاقة لها بأهل الكتاب و لا يأمر الدين بقتالهم

---

[١] عن عدي بن حاتم ﷺ أنه لما بلغته دعوة رسول الله ﷺ فر إلى الشام وكان قد تنصر في الجاهلية فأسرت أخته وجماعة من قومه ثم من رسول الله ﷺ على أخته وأعطاها فرجعت إلى أخيها فرغبته في الإسلام وفي القدوم على رسول الله ﷺ فتقدم عدي إلى المدينة وكان رئيسا في قومه طيئ وأبوه حاتم الطائي المشهور بالكرم فتحدث الناس بقدومه فدخل على رسول ﷺ وفي عنق عدي صليب من فضة فقال: « **ما هذا يا عدي ؟.. اطرح عنك هذا الوثن!** » ، وهو يقرأ هذه الآية ﴿ **اتخذُوا أحبارهم ورهبانهم أرباباً من دون اللّهِ** ﴾ قال : فقلت يا نبي الله إنهم لم يعبدوهم ! . فقال : « **بلى إنهم حرموا عليهم الحلال وأحلوا لهم الحرام فاتبعوهم فذلك عبادتهم إياهم** » - رواه الإمام أحمد ٣٧٨/٤ والترمذي / ٢٩٥٣

أبدا إلا الذين ظلموا منهم ، و لكن المؤلف يتطرق منها لموضوع الجزية و فرضها على أهل الكتاب في محاولة لفرض رأي خاطيء على القراء بالقوة ، و هذا يدعونا لتناول الموضوع بشيء من التفصيل فما هي الجزية ؟ و لمَ فُرضت على أهل الكتاب ؟

- **الجزية :**

قال الله ﷻ في كتابه العزيز : ﴿ **قَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ** ﴾ [١] ، و نعرف من الآية الكريمة أن فرض الجزية على أهل الكتاب الذين يعيشون في بلاد المسلمين و الذين آثروا البقاء على دينهم و رفضوا الدخول في الإسلام عندما دعوهم إلى ذلك ، و الجزية تعرف اليوم بضريبة الدفاع مقابل حماية ممتلكاتهم و أموالهم و أنفسهم من الأعداء و الأخطار ، و أيضا عوضا عن التجنيد في الجيش الإسلامي الذي يجاهد في سبيل الله و ينشر دين الإسلام ، و بالطبع هو أمر لن يقبله أهل الكتاب ! ؛ و لذا وجب عليه أن يدفع الجزية أو ضريبة الدفاع عوضا عن ذلك كما يدفع المسلم القاعد عن الجهاد ضريبة الخراج ، و يكون ذلك عن يدٍ أي بأيديهم لا يوكِلون بها و لا يدفعها عنهم أحد ، و هم صاغرون أي قابلين لحكم الإسلام في ذلك الأمر غير متمردين عليه ؛ فالصغار أي جريان أحكام الاسلام عليهم كما قال الامام الشافعي و لا يفهم من الآية أي إذلال لأهل الكتاب لأنه يتناقض مع التسامح و الأمان الذي أقره الإسلام لهم ، فالتمرد هنا قد يؤدي إلى فتنة و هو أمرغير مقبول من المسلم قبل غير المسلم . هذا وقد ذهب بعض المفسرين الي أن الأمر في الآية الكريمة ليس على إطلاقه بل أن الذين تفرض عليهم الجزية من أهل الكتاب هم الذين لا زالوا ينساقون مع المشركين ضد المسلمين من نقض للعهد أو اثارة العدو ومعونته أو الإغارة على اطراف البلاد ، كما فعل النصارى في الشام ، فجاء الأمر الإلهي بقتالهم حين بدأوا الإسلام بالشر حتى يعطوا الجزية عن يدٍ وهم صاغرون ، و إن كان هذا لم يطبق من الناحية العملية ، إذ يسجل التاريخ على مدار الدولة الإسلامية جباية الجزية من عموم النصارى المستقرون في ربوع البلاد سواءا كانوا رعايا أم معادين ، و لكن لم يسجل التاريخ أبدا تشدد المسلمين في تحصيل الجزية من أهل الكتاب[٢] ، فنعرف أنها قد غير مقررة على الأحبار و الرهبان و رجال الدين و ذلك لتفرغهم للعبادة و انقطاعهم عن الدنيا ، كذلك كانت تسقط عن عدم القادرين على دفعها كما فعل عمر بن الخطاب رضي الله عنه عندما اشتكى إليه يهوديا فقيرا فأسقط عنه الجزية و منحه من بيت المال فضرب بذلك أروع مثال لتسامح الإسلام مع الضعفاء من أهل الكتاب ، و في القرون الوسطى كذلك عندما انخرط بعض الأقباط في جيوش السلطان صلاح

---

[١] التوبة : ٢٩

[٢] مر هِشام بن حكِيم بن حِزامٍ علىٰ أُناسٍ مِن الأنباطِ بالشامِ. قد أُقِيموا فِي الشمسِ. فَقَال: ما شأْنهم؟ قالُوا: حبِسوا فِي الْجِزيةِ. فَقَال هِشام: ما هـٰذَا؟ أَشهد إني سمِعت رسولَ اللّهِ ﷺ يقُولُ : «**إن اللّه يعذب الذِي يعذبونَ الناس فِي الدنيا**». صحيح مسلم / ٦٦١٢ – كتاب البر و الصلة و الآداب ، مسند الإمام أحمد / ١٥٥٤٢ ، سنن أبي داوود / ٣٠٤٧ ، صحيح ابن حبان / ٥٥١٥ ، و يفهم من الحديث استنكار جباية الجزية بالقوة .

الدين الأيوبي في حروبه مع الصليبيين في الشام و نصروه على أعدائه فأسقط عنهم الجزية كما يحكي المؤرخ ابن الأثير في كتابه (**الكامل** في **التاريخ**) بل و منحهم دير في بيت المقدس كان يدار بواسطة الصليبيين فأسموه (دير السلطان) و لا يزال تابعا للكنيسة المصرية إلى اليوم .

و في العصر الحديث و عندما أراد محمد علي باشا والي مصر في مطلع القرن التاسع عشر بناء الدولة الحديثة بسواعد المصريين رفض تحصيل الجزية من الأقباط و أخضعهم للضرائب التي تفرض على سائر المصريين مخالفا بذلك قوانين الدولة العثمانية و التي ظلت تجبي الجزية من سائر ولاياتها بعد ذلك حتى سقوطها في مطلع القرن العشرين ، و كان ذلك إيذانا بتجنيدهم في الجيش المصري الذي صار للدفاع عن البلاد بعد انتهاء عصر الفتوحات ، و لم يراجعه أي من علماء المسلمين في ذلك الأمر إلى اليوم ؛ ففرض الجزية لا معنى له الأن و قد صار لأهل الكتاب كافة حقوق المواطنة الكاملة في أرجاء البلاد الإسلامية .

و اليوم نرى أهل الكتاب من يهود و نصاري يعيشون في ربوع الدول الإسلامية ، فما نرى نظام يفرض الجزية عليهم حتى في ظل الحكومات التي تطبق الشريعة الإسلامية في الدستور كإيران و دول الخليج و ليس القانون المدني كمصر و سائر الدول بل هم مواطنين من الدرجة الأولى لهم كافة الحقوق و عليهم كافة الواجبات . و هكذا فإننا نرى أن الجزية ضريبة عادية كانت في مرحلة زمنية معينة و سقطت بإنقضاء زمانها و الحاجة إليها و ليست كما يقول المؤلف حقنا لدماء أهل الكتاب ؛ بدليل أنه يجوز إسقاطها عن عدم القادرين عليها مع الحفاظ على أرواحهم ، و لا أن المسلمين قد فرضوها ثمنا للكفر و الإشراك بالله فهذا كلام غير مقبول أبدا حتى و لو قيل على سبيل التلميح !

و يورد المؤلف جملة اعتراضية بمكر عن رسالة الإسلام فيقول : (*لقد نشأ الإسلام يحارب الوثنية ويجاهد اليهودية ويؤاخذ المسيحية، في مذاهبها المبتدعة التي كانت تتنافى تعاليمها مع العقيدة الصحيحة في الله تعالى، منكراً عليها ما كان يثير الجدل والنقاش حولها*) و الحق أقول لك أيها القارئ الكريم أن الإسلام قد نشأ يحارب و يجاهد الوثنية كي لا يعبد في الأرض إلا الله ﷻ و هذه هي رسالة الإسلام و جميع الأنبياء من قبله ، و يؤاخذ اليهود و لا يجاهدهم إلا لظلمهم ، و كذلك يؤاخذ النصارى لقولهم على الله غير الحق كما سيلي توضيحه في دراستنا هذه .

o القرآن و النصارى :

و يورد المؤلف بعض الأيات القرآنية مشيرا إلى شهادة القرآن للنصارى بالحق و فيما يلي نتناول تلك الأيات الكريمة و نرى كيف كان تفسيره لها بعيدا تمام البعد عن الصواب :-

١. يقول الله تعالى : ﴿ **لَتجِدنّ أشد الناس عداوةً لّلّذِين آمنوا الْيهود والّذِين أشركُوا ولَتجِدنّ أقْربهم مودةً لّلّذِين آمنوا الّذِين قَالُوا إِنا نصارى ذَلِك بِأَنّ مِنهم قِسيسِين ورهباناً وأَنهم لاَ يستكْبِرونَ** ﴾ [1]

و يقول المؤلف إنها تشهد للنصارى بالحق و بالتفرقة بينهم و بين المشركين ، و الواقع إن الآية الكريمة لا تثبت ذلك أبدا ، بل توضح أن هناك ثلاث فئات ضالة و هم اليهود و الذين أشركوا و النصارى

[1] المائدة : ٨٢

و لكن أكثرهم قربا من المؤمنين هم النصارى بسبب أن القساوسة و الرهبان قد خلعوا من قلوبهم الكبر و حب الذات و الذي اشتهر به اليهود قبل المشركين ، و بذلك فهم أقرب إلى المؤمنين من الفئتين الأخريين و أنهم أكثر فئة يستطيع المؤمنين التعامل و التعايش معها و هذا صحيح ، و لكن لا يستدل بها أبدا على صحة عقيدتهم و لا في هذا مدح لهم ، و الدليل على ذلك نراه جليا في الآية التالية لها مباشرة و التي تقول : ﴿ **وإذا سمعوا ما أنزلَ إلى الرسول ترى أعينهم تفيض من الدمع مما عرفوا من الحق يقولونَ ربنا آمنا فاكتبنا مع الشاهدين** ﴾ [1] و هنا نتأكد بما لا يدع مجالا للشك أن الآية لا تتكلم عن عموم النصارى ، و يذهب بعض المفسرين و منهم القرطبي أن الآية تتكلم عن نصارى الحبشة حينما قرأ عليهم جعفر بن أبي طالب رضي الله عنه القرآن ففاضت أعينهم لما لمسوه من حقيقته مما جعل النجاشي يقول لجعفر رضي الله عنه : (إن هذا و الذي جاء به عيسى يخرج من مشكاة واحدة) ، و هذا شيء لا نراه في نصارى اليوم مما يدل على أن هذه الآية أبدا لا تتكلم عنهم و لا تشرح حقيقة موقفهم من المؤمنين .

٢. و يقول تعالى أيضا : ﴿ **ثم قفّينا على آثارهم برسلنا وقفّينا بعيسى ابن مريم وآتيناه الإنجيلَ وجعلنا في قلوب الذين اتبعوه رأفةً ورحمةً ...** ﴾ [2] و يقول المؤلف أيضا أن هذا مدح لهم و لعقيدتهم !

و الواقع إن هذا أقل ما يوصف به أنه قلب للحقائق و لا ندري أهو عن عمد أو عن جهل ، و نحسب الشك لصالح المؤلف و نوضح للقراء أن تتمة الآية التي حذفها ترد على مزاعمه ؛ فالرأفة و الرحمة التي ورد ذكرها في الآية قد جعلها الله سبحانه وتعالى في قلوب الذين اتبعوا عيسى عليه السلام و طبعا يقصد الحواريين رضوان الله عليهم ، أما عموم النصارى فتتكلم عنهم بقية الآية و هي : ﴿ **... ورهبانيةً ابتدعوها ما كتبناها عليهم إلا ابتغاءَ رضوان اللهِ فما رعوها حق رعايتها فآتينا الذين آمنوا منهم أجرهم وكثيرٌ منهم فاسقونَ** ﴾ [3] ، و هي تصف حال نصارى هذه الأيام ، و إذا تناولنا شرح الآية الكريمة في تفسير الجلالين نجده يقول : (**ورهبانيةً**) هي رفض النساء واتخاذ الصوامع (**ابتدعوها**) من قبل انفسهم (**ما كتبناها عليهم**) ما أمرناهم بها لكن فعلوها (**إلا ابتغاءَ رضوان**) مرضاة (**اللهِ فما رعوها حق رعايتها**) إذ تركها كثير منهم وكفروا بدين عيسى ودخلوا في دين ملكهم وبقي على دين عيسى كثير منهم فآمنوا بنبينا (**فآتينا الذين آمنوا**) به (**منهم أجرهم وكثيرٌ منهم فاسقونَ**) .

فهل يستطيع المؤلف أن يزيد في مزاعمه بعد هذا ؟!

٣. و لا يزال المؤلف على عناده إذ يقتبس من كتاب الله تعالى قوله : ﴿ **ليسوا سواءً من أهل الكتاب أمةٌ قائمةٌ يتلونَ آياتِ اللهِ آناءَ الليل وهم يسجدونَ ۞ يؤمنونَ باللهِ واليومِ الآخرِ ويأمرونَ بالمعروف**

---

[1] المائدة : ٨٣

[2] الحديد : ٢٧

[3] تتمة الآية السابقة

ويَنهونَ عن الْمنكرِ ويسارِعونَ فِي الْخيراتِ وأولَـئِك مِن الصالِحِين ﴾[1] و رأيه أن في هذا أيـضا مدح لهم و لعقيدتهم و لتمسكهم بشعائر دينهم !

و لنتأمل بقليل من الروية الآية الكريمة السابقة ، فتبدأ بالتفريق البين في قوله تعالى : ﴿ **لَيسوا سوآءً من أهـل الكِتاب ...** ﴾ ، فكلمة (من) تبعيضية لا تدل على العموم أبدا ، وكذلك قوله تعالى : ﴿ **.. وهم يـسجدونَ** ﴾ ؛ فهل ينطبق هذا على نصارى هذه الأيام على اختلاف طوائفهم و شيعهم ، فليس في صلواتهم و لا شعائرهم الـسجود ولا قيام الليل الذي تناولته الآية الكريمة و نسبته إليهم ؛ و حقيقة الأمر أنها تقصد السابقين من أهل الكتاب الذين أمنوا بالله ﷻ و بأنبيائهم أو أولئك الذين سارعوا منهم إلى الدخول في الإسلام ، و الله تعالى أعلى و أعلم .

٤. و يقول المؤلف أيضا : (*شهد القرآن برفعة المسيحيين على الكافرين بالمسيحية، فقد جاء في آل عمران ٣: ٥٥: إِذْ قَالَ اللّه يا عِيسى إِني متوفيك ورافِعك إِلَي ومطَهرك مِن الَّذين كَفَروا وجاعِلُ الَّذين اتبعوك فَوق الَّذين كَفَروا إِلَى يومِ الْقِيامة*).

و نقول : أيضا إن المؤلف لا يزال يمارس سياسة الإستقطاع من آيات القرآن الكريم ، و الحقيقة إن اقتطاع الآية من سياقها يغير معناها بصورة كبيرة ، و لنقرأ معا السياق بالكامل و هو كافي للرد على أي جدال : ﴿ **فَلَما أَحـس عِيسى مِنهم الْكُفْر قَالَ من أَنصارِي إِلَى اللّهِ قَالَ الْحوارِيونَ نحن أَنصار اللّهِ آمنا بِاللّهِ واشهد بِأَنا مـسلِمونَ ۞ ربنآ آمنا بِمآ أَنزلَت واتبعنا الرسولَ فَاكْتبنا مع الشاهِدِين ۞ ومكَروا ومكَر اللّه واللّه خير الْماكِرِين ۞ إِذْ قَـالَ اللّه يعِيسى إِني متوفّيك ورافِعك إِلَي ومطَهرك مِن الَّذِين كَفَروا وجاعِلُ الَّذِين اتبعوك فَوق الَّذِين كَفَروا إِلَى يـومِ الْقِيامةِ ثُم إِلَي مرجِعكُم فَأَحكُم بينكُم فِيما كُنتم فِيهِ تختلِفُونَ ۞ فَأَما الَّذِين كَفَروا فَأُعذِّبهم عذَاباً شـدِيداً فِـي الدنيا والآخِرةِ وما لَهم من ناصِرِين ۞ وأَما الَّذِين آمنوا وعمِلُوا الصالِحاتِ فَيوفِّيهِم أُجورهم واللّـه لاَ يحِـب الظَّالِمِين ۞ ذَلِك نتلُوه علَيك مِن الآياتِ والذِّكْرِ الْحكِيمِ** ﴾[2]، فهي توضح الإختلاف الذي دب بين النصارى بعد عيسى عليه السلام ، فالمولى ﷻ إليه مرجعهم يفصل بينهم فيما يختلفون ، أما الرفعة عن الكافرين إلى يوم القيامة فهي مـن نصيب الذين اتبعوا عيسى عليه السلام أي الحواريين الذين آمنوا بالله و ناصروا نبيه حين كذّب به الكافرون ، أي هم الذين قالوا : **ربنآ آمنا بِمآ أَنزلَت واتبعنا الرسولَ فَاكْتبنا مع الشاهِدِين** و ليسوا عموم النصارى كما يتوهم المؤلف .

٥. و يقول المؤلف أيضا : (*حكم الإسلام بالفسق على من لم يقم أحكام الإنجيل. فقد جاء في المائـدة ٥: ٤٧ ولْيحكُم أَهلُ الْإِنجِيلِ بِما أَنزلَ اللّه فِيهِ ومن لَم يحكُم بِما أَنزلَ اللّه فَأُولَئِك هم الْفَاسِـقُونَ. وقـد ذكر البيضاوي في تفسيره: فأولئك هم الفاسقون عن حكمه أو عن الإيمان إن كان مـستهيناً بـه ... والآية تدل على أنّ الإنجيل مشتمل على الأحكام وأنّ اليهودية منسوخة ببعثة عيسى.*) .

---

[1] آل عمران : ١١٣ - ١١٤

[2] آل عمران : ٥٢ - ٥٨

و عندما نقرأ الإقتباس الذي أورده المؤلف من تفسير البيضاوي لا نفهم منه شيئا طبعا لأنه مقطوع من السياق و لنقرأ ما ورد في كتب التفسير عن هذه الآية فيقول الحافظ ابن كثير : (وقوله تعالى (وليحكم أهل الإنجيل بما أنـزل فيه) ... أي ليؤمنوا بجميع ما فيه وليقيموا ما أمروا فيه ومما فيه البشارة ببعثة محمد والأمر باتباعه وتصديقه إذا وجـد كما قال تعالى (قل يا أهل الكتاب لستم على شيء حتى تقيموا التوراة والإنجيل وما أنزل إليكم من ربكم) الآية وقال تعالى (الذين يتبعون الرسول النبي الأمي الذي يجدونه مكتوبا عندهم في التوراة) إلى قوله (المفلحون) ولهذا قال هاهنـا (ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الفاسقون) أي الخارجون عن طاعة ربهم المائلون إلى البـاطل التاركون للحق) ، و قد ذكر القرطبي في تفسيره شيئا مشابها أي أن الآية الكريمة تحض أهل الكتاب على الإيمان بمحمد ﷺ لما أنزله الحق تبارك و تعالى عليهم من صفاته في التوراة و الإنجيل ، و لكنهم لا يقيموا تلك الأحكام . و لنسأل القاريء الذي قـرأ الآية السابقة بالله عليك هل نفهم منها أن اليهودية منسوخة ببعثة عيسى ؟ و هل ورد ذكر نسخ عيسى للتوراة في أي موضع من القرآن ؟ و بالطبع الإجابة هي : لا و لا و لا ! فالخالق ﷻ يقول عن لسان عيسى عليه السلام : ﴿ **ومصدقاً لّما بين يدي مِن التوراةِ ولأُحِلّ لَكُم بعض الّذِي حرم عليكُم وجِئْتُكُم بِآية من ربكُم فاتقُوا اللّه وأطِيعون** ﴾ [1] ، ويقول أيضا : ﴿ **وقفّينا على آثَارِهِم بِعيسى ابن مريم مصدقاً لّما بين يديهِ مِن التوراةِ وآتيناه الإِنجِيلَ فِيـهِ هـدًى ونـورٌ ومصدقاً لّما بين يديهِ مِن التوراةِ وهدًى وموعِظَةً لّلْمتقِين** ﴾ [2] ، و يقول أيضا : ﴿ **وإِذْ قَالَ عِيسى ابن مريم يبنِـي إِسرائِيلَ إِني رسولُ اللّهِ إِلَيكُم مصدقاً لّما بين يدي مِن التوراةِ ومبشراً بِرسولٍ يأْتِي مِن بعدِي اسمه أحمد فَلَمـا جاءهم بِالْبيناتِ قَالُوا هـذَا سِحرٌ مبِينٌ** ﴾ [3] ، فهذا دليل كاف على أن عيسى عليه السلام لم ينسخ التوراة أبدا و ما كانت هذه رسالته عليه صلوات ربه و سلامه ، و المؤلف يعرف ذلك جيدا و لكن لا ندري سبب ذكره لتلك الأخطـاء في سياق ما ينسبه للقرآن الكريم ؟!

٦. و يكمل المؤلف : (*أقر الإسلام بحقيقة تعاليم المسيحية، وحض على الإيمان بها، فقد جاء في العنكبوت ٢٩: ٤٦ولاَ تجادِلُوا أَهلَ الْكِتابِ إِلا بِالّتِي هِي أَحسن إِلا الّذين ظَلَموا مِنهم وقُولُوا آمنا بِالّذِي أُنـزِلَ إِلَينا وأُنزِلَ إِلَيكُم وإِلَهنا وإِلَهكُم واحِد ونحن لَه مسلِمونَ .*) ، و لا ندري كيف اسـتطاع المؤلـف الخروج بهذا الأستنباط من الآية الكريمة ، فالآية تأمر بعدم الدخول في مجادلات دينية مع أهل الكتـاب إلا مع من ظلموا المؤمنين بإغوائهم و فتنتهم و ظلموا أنفسهم بما افتروه على الحق كما نفعل نحن الأن ، و ليس فيها أدنى إقرار بأي مما يورده المؤلف .

٧. و أيضا : (*... دعا إلى الإيمان بالتعاليم الواردة في التوراة والإنجيل، فقد جاء في النساء ٤: ١٣٦ يا أَيها الّذين آمنوا آمِنوا بِاللّهِ ورسولِهِ والْكِتابِ الّذِي نزلَ علَى رسولِهِ والْكِتابِ الّذِي أَنزلَ مِن قَبلُ ومن يكْفُر*

---

[1] آل عمران : ٥٠
[2] المائدة : ٤٦
[3] الصف : ٦

بِاللَّهِ وملَائِكَتِهِ وكُتبِهِ ورسلِهِ واليومِ الْآخِرِ فَقَد ضلّ ضلَالاً بعِيداً وأيضاً آل عمران ٣: ٨٤: قُلْ آمنا بِاللَّهِ وما أُنزِلَ علَينا وما أُنزِلَ علَى إِبراهِيم وإِسماعِيلَ وإِسحاق ويعقُوب والْأَسباطِ وما أُوتِي موسى وعِيسى والنبِيونَ مِن ربهِم لَا نفَرق بين أَحدٍ مِنهم) و نتناول في الفصل القادم ما أورده القرآن الكـريم عـن كتاب النصارى المقدس .

٨. و لنثبت للمؤلف و غيره من النصارى عدم مصادقة الإسلام على مفهوم عقيدة النـصارى أو اليهـود بصورتها الحالية ، نقرأ قول الله تعالى : ﴿ **ولَن ترضى عنك الْيهود ولَا النصارى حتى تتبِع مِلَّتهم قُلْ إِنّ هدى اللَّهِ هو الْهدى ولَئِن اتبعت أَهواءَهم بعد الَّذِي جاءَك مِن الْعِلْمِ ما لَك مِن اللَّهِ مِن ولِـي ولَا نصِيرٍ** ﴾ [1] ، و رغم أن هذه الأية نزلت في رسول الله ﷺ في محاوراته مع يهود المدينة و نـصارى نجران ؛ ألا أن معناها يمتد ليشمل أهل الكتاب الآن ، و يقول تفسير الجلالين : (تتبع ملتهم أي دينهم ، فقل إن هدى الله أي الإسلام هو الهدى وما عداه ضلال ..) و في هذا معنى واضح جلي .

٩. أيضا نقرأ قول الله تعالى : ﴿ **يـَاأَيها الَّذِين آمنوا لَا تتخِذُوا الْيهود والنصارى أَولِياءَ بعضهم أَولِيـاءُ بعضٍ ومن يتولَّهم منكُم فَإِنه مِنهم إِنّ اللَّه لَا يهدِي الْقَوم الظَّالِمِين** ﴾ [2] ، و في الأية نهي تـام عـن موالاة أهل الكتاب في أمور الدين طبعا فلا نتشبه بهم و لا نستفتهم في شيء و لا نأخذ برأيهم ، و من يفعل ذلك منا فقد ضل و ظلم نفسه و الله لا يهدي القوم الظالمين .

١٠. و أيضا قال الحق تبارك و تعالى : ﴿ **وقَالُوا كُونوا هودا أَو نصارى تهتدوا قُلْ بلْ مِلَّةَ إِبراهِيم حنِيفاً وما كَانَ مِن الْمشرِكِين** ﴾ [3] ، فنجد نهي صريح من الخالق ﷻ لعباده المؤمنين عن اتباع ملة اليهـود و النصارى ؛ لأنه ليس الهدى . بل لإن الهدى ملة إبراهيم حنيفا أي مائلا عن الشرك بـالله و مـوالاة المشركين .

الخلاصة :

- إن الإسلام يقر بنبوة عيسى عليه السلام ، بل أنه لا يصح إسلام الفرد منا إلا إذا أمن بكل الأنبياء المرسلين من الله ﷻ لا نفرق بين أحد من رسله و لا أنبيائه ، و في الكثير من الأحاديـث الـشريفة الـتي لا توجب تفضيل أنبياء الله بعضهم على بعض و تعلم أن الأنبياء أخوة لعلات أمهاتهم شـتى و دينـهم واحد .
- عندما يذكر القرآن الكريم مدحا لأتباع عيسى عليه السلام فإنما يمتدح الحواريين و المؤمنين من أهل الكتاب ممن اتبعوا موسى و عيسى و الأنبياء عليهم رضوان الله ، و ذلك قبل أن يظهر الإبتداع في الـدين و

---

[1] البقرة : ١٢٠
[2] المائدة : ٥١
[3] البقرة : ١٣٥

الإختلاف عليه و التطرق و التشتت في سبل عديده لا يعلم مداها إلا الله . فلا يـصح للمؤلـف أن يعمم ذلك الإطراء على كافة النصارى مما لا يفهم ذلك من الآية حين تقرأ في كامل سياقها لا حين تقتطع و يحذف منها ما لا يوافق المعنى المراد .

- إن تغيير معنى كلمة من الوحي الإلهي أو نزعها من سياقها أمر خطير، لأنه يعني أنه جعلها تقول مـا يريده هو لا ما يريده الله ، وعلى أقل تقدير هذا (تحريف للمعنى) إن لم يكن تـدليس أو زيـف و قلب للحقائق وهو نوع من الشِرك و العياذ بالله ، لأنه يكون قد أشرك أفكاره مع أفكار المولى ﷻ و الله المستعان .

المبحث الثاني :

القُرْآنُ الكَرِيمُ والكِتَابُ المُقَدَّسُ

***

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيْمِ

أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلۡقُرۡءَانَۚ وَلَوۡ كَانَ مِنۡ عِندِ غَيۡرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُواْ

فِيهِ ٱخۡتِلَٰفٗا كَثِيرٗا ﴿٨٢﴾

قرآن كريم - سورة النساء

ما من شك يخالج نفسية المسلم في أن الكتاب المقدس الذي بأيدي أهل الكتاب اليوم ليس بصورته التي أنزله الله بها على أنبيائه منذ أكثر من ثلاثة ألاف عام ، و هذه الحقيقة واردة بل و مؤكدة في القرآن الكـريم كمـا سـنتناول بالدراسة في هذا الفصل ، و لكن أهل الكتاب يرون أن هذا غير صحيح و أنه كتاب موحى به من الله و هو الدستور الأدبي و الإجتماعي و الذي منه يستمدون عقائدهم ، و هو النافذة الوحيدة المضيئة و المفتوحة على قلوبهم و عقولهم .
و أثناء جدالهم مع الباحثين المسلمين في موضوع التحريف يثيرون عدة نقاط عقيمة فيقول المؤلف مثلا : (*بقي عامـة المسلمين على اعتقاد أنّ الكتاب المقدس قد لعبت به الأيدي، وضاعت قيمته بالحذف تارة وبالزيادة تـارة أخـرى، ونراهم يسلكون في دعواهم هذه دروباً يتكلفون في سبيلها كثيراً من الإجهاد والمشقة، مع أنهم لا يسندونها إلى زمـان معلوم، أو مكان معين، أو فاعل معروف. وهم بعدم إسنادهم هذا قد أسقطوا دعواهم، فدعوى المدعي، مجردة عن كل بينة وبرهان، لا تكون مسنداً للحكم، لأنّ التحريف صفة عارضة، وحدثٌ يجب أن يسند إلى فاعل وزمان ومكـان، ويجب أيضاً لإثباته أن يظهروا لنا الكتاب الحقيقي الذي لم تلعب به الأيدي.*)
و حقا إنه أسلوب عقيم في المناقشة ، و قد قتله الباحثون المسلمون بحثا و أثبتوا بما لا يدع مجالا للشك أنه كتاب محرف و ذلك بأدلة بعيدة عن آيات القرآن الكريم و الذي لا يعترف به أهل الكتاب كما أسلفنا . و على الرغم من أن اثبات التحريف ليس مجال دراستنا هذه ، ألا إنه لا مانع أبدا أن نتحدث عن هذا الموضوع و لو في سطور قليلة .

- **مفهوم التحريف :**

لا يؤمن أهل الكتاب بالوحي الحرفي لأسفار الكتاب المقدس ، بمعنى إنهم يرون أن الله ﷻ قد أوحى لرجاله – و ليس شرطا لأنبيائه – بالمعنى فقط ثم يترك حرية التعبير لكاتب السفر يعبر عنها كيفما يشاء ، و هذا الرأي في الواقـع دون سند موثق من الكتاب المقدس و لعل صاحبه أو القائل به أراد أن يهرب من تلك التناقضات الغريبة التي تتـضح لمطالع الكتاب المقدس مبرهنة على أصله البشري لا الإلهي . فوحي الله لأنبيائه وحيا حرفيا بالكلمة و المعنى و المراد ، و هذا يتضح لنا جليا في قوله تعالى : ﴿ **إِنَّآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ كَمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ نُوحٍ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ مِنۢ بَعْدِهِۦ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ إِبْـرَٰهِيمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ وَعِيسَىٰ وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَٰرُونَ وَسُلَيْمَٰنَ ۚ وَءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ زَبُـورًا** ﴾ [١] ، و الثابت تاريخيا أن الأسفار المنسوبة في الكتاب المقدس لموسى عليه السلام قد تمت كتابتها في زمن السبي البابلي أي بعد عصر النبي موسى بقرون عديدة ، و كذلك أسفار باقي الأنبياء فقد دخل عليها التعديل و التنقيح بالإضافة تارة و بالحـذف تارة على أيدي كهنة اليهود في أورشليم بعد عودتهم من السبي و ذلك من قبل أن تستقر على الصورة التي تعرف بها في الوقت الحالي ، و هذا قد أثبته الباحثون عندما ربطوا بين أحداث مذكورة في بعض الأسفار حدثت لبني إسرائيل بعـد

[١] النساء : ١٦٣

ذلك بكثير . فإذا اختلط الوحي الإلهي بما يسطره البشر ألا يسمى هذا تحريفا و لو لم يختلف المعنى كثيرا ؟ ؛ فإنه يكون قد حاد عن الألفاظ التي أوحاها الله ﷻ و ائتمن عليها البشر و هذا هو عين التحريف .

أيضا من المعلوم أن أهل الكتاب قد كتبوا أسفارهم بالعبرانية القديمة ، و في العهد البطلمي تمت ترجمتها إلى اللغة اليونانية فيما يعرف بالنص السبعيني و انتشرت تلك الترجمة في أنحاء أوروبا في العهود المسيحية الأولى و عنها تمت ترجمة الكتب إلى لغات عديدة أنذاك .

و منذ القرون الأولى للميلاد اختلف النصارى على طبيعة عيسى عليه السلام ، أيضا اختلفوا على محور العقيدة أهو التثليث أم التوحيد ؟! ، و عندما اجتمع المختلفون لرفع الأمر لأسفار الكتاب المقدس وضع بعضهم بعض الفقرات بل و الأسفار الكاملة التي تؤيد وجهة نظرهم ليحاجوا بها خصومهم ، هذه الفقرات المذكورة لا وجود لها في بعض المخطوطات القديمة مما دعا البعض في العصر الحديث إلى حذفها من الكتاب المقدس .

و في عصر النهضة نادى بعض النصارى بوجوب اعتماد الترجمة عن النسخة العبرانية لأنها الأصل ، و نظرا لإختلافات الترجمة اليونانية العديدة في الألفاظ و في المعنى عن أصلها العبراني ؛ هذا الرفض قد نتج عنه رفض لأسفار بأكملها موجودة في النسخة اليونانية و غير موجودة في الأصل العبراني بعد أن ظلت لقرون عديدة محل تقديس للعديد من طوائف النصارى و هي التي عرفت فيما بعد بالأبوكريفا (أي الأسفار المزيفة) و لنا أن نتساءل هنا : ألا يعد هذا تحريفا بالزيادة ، أو بالنقصان ، قد طرأ على أسفار الكتاب المقدس ؟

و في العصر الحديث اجتمع العديد من علماء النصارى فيما يعرف بمجمع الفاتيكان و ذلك لبحث اختلاف نسخ الكتاب المقدس الناتج عن اختلاف الترجمات إلى اللغات المختلفة ، و محاولة الخروج بنسخة جديدة تعتمد في نصوصها على العديد من المخطوطات القديمة و التي يرجع تاريخها للقرن الثالث أو الرابع الميلادي ، و قد نجحوا في النهاية بالخروج بما يعرف بالنسخة القياسية المنقحة *RSV* و صيغت باللغة الإنجليزية عام ١٩٥٢ و عنها تمت ترجمة الكتاب المقدس للعديد من اللغات الحديثة ، و نتساءل أيضا : هل ينقح كتاب الله ؟ ألا يسمى هذا التغيير ، في الكلمات و الأسفار التي صارت محل تقديس لفترة و كذا الترجمات العديدة ، تحريفا ؟!

أيضا قد صدر عام ١٩٧١ ترجمة منقحة تعرف بالترجمة الأمريكية القياسية *ASV* . و هذه الترجمة الأخيرة تختلف تمام الإختلاف في بعض المواضع عن مثيلتها التي صدرت عام ١٩٥٢ مما يجعلنا في الوقت الحاضر في أشد الحيرة من أمر ذلك الكتاب المقدس عديد الطبعات و الترجمات و المعاني المختلفة !!

و نخلص في النهاية إلى أن تغيير أهل الكتاب في كتابهم بأيديهم ثابت على مدار التاريخ و ذلك ناتج عن اختلاط كلمات الوحي الإلهي بكلمات البشر من كُتاب الأسفار ، أو ناتج عن اختلاف التراجم ، أو ناتج عن إضافة عقائد معينة ، أو عن اختلاف الإصدارات المتعددة للكتاب المقدس و لو بنفس اللغة ! و هذا لا يمكن أن نسميه إلا تحريفا واضحا جليا جديرا بأن يسقط عن تلك الأسفار صفة القدسية .

و هكذا فإننا نرى أن تلك الأسئلة التي سألها المؤلف : كأين كان التحريف ؟.. و متى ؟.. و من المسئول عنه ؟.. و غيرها مما سأل المؤلف و غيره - و كل ظنه أنها تعجيز كاف لإسكات خصومه - هي من قبيل الترهات التي لا

معنى لها و لا تفيد بشيءٍ إلا زيادة الجدل في أمور فارغة ! ، و يضرب أحد الباحثين المسلمين مثلا فيقول : برج بيزا المائل الشهير في إيطاليا ، هل جهلنا مثلا بأسباب ميله يكفي لإثبات أنه ليس بمائل مع أن ميله واضح للعيان ؟! ، و هل كذلك لو أثبت أحدهم إستحاله وجود أسباب لميل البرج فهل يمنعنا ذلك من الاعتقاد في ميله ؟!... و للنصارى تطبيق هذا المثال على كتابهم المقدس !

و بقي أن نرد على الفقرة الأخيرة من حجة المؤلف بأن نظهر له الكتاب الحقيقي الذي لم تعبث به يد التحريف و ذلك لا يكون إلا القرآن الكريم كتاب الله الحق الذي لا يأتي بالباطل أبدا و الذي جاء مصدقا للتوراة و الإنجيل و الزبور و مهيمنا عليهم ، و هو الكتاب الوحيد الموجود به ما كان فى هذه الكتب قبل التحريف و التبديل و النسيان و الضياع.. و هو الذي تعهده الله ﷻ بالحفظ من العبث لا مبدل لكلماته إلى أن يرث الأرض و من عليها ؛ فعندما يرسل الله نبيه الخاتم ﷺ بالشريعة الخاتمة فهو غير محتاج إلى أن يظهر أصل ما تحرف من الكتب . فمن أراد أن يعرف ما كان بالتوراة و الإنجيل كما جاء من عند الله تعالى ؛ فعليه بالقرآن الكريم . بل وجب عليهم إن كانوا يؤمنون بالله و اليوم الأخر أن يؤمنوا بشريعة الله و بنبيه ﷺ و بكتابه الحق بدلا من أن يعميهم الضلال عن الصراط المستقيم .

- **تحريف الكتاب من القرآن الكريم و السنة :**

و كعادة المؤلف ،كما أسلفنا ، نراه يأتي بالكثير من أيات القرآن مقطوعة من سياقها ليثبت لقراءه صدق دعواه ، و لذا و بدلا من إضاعة بعض الوقت في مناقشة تخرصاته نورد هنا الأيات الكريمة التي تؤكد التحريف الذي وقع على كتابه المقدس :

١. ﴿ **أَفتطمعونَ أن يؤمِنوا لكُم وقَد كَانَ فَرِيقٌ منهم يسمعونَ كَلامَ اللّهِ ثُم يحرفُونه مِن بعدِ ما عقَلُوه وهم يعلمونَ** ﴾ [1] ، و هذا قد صار الأن واضحا جليا بعد ما ذكرنا عن كهنة اليهود في بابل و كيف خلطوا كلمات الوحي الإلهي بكلماتهم فيما يعرف بالأسفار المقدسة . و يحاول بعض النصارى أن يفسر الآية السابقة على أن اليهود كانوا يسمعون كلمات القرآن من النبي ﷺ ثم يغيرون فيها من بعدما فهموا معناها أي أن كلام الله المعني في هذه الآية هو القرآن لا التوراة ، و كلام الله الذي حرفه اليهود هو القرآن لا التوراة ! و هو تفسير بعيد تمام البعد عن الصواب ففعل الكينونة المذكور في الآية الكريمة كافيا للرد عليهم أن هذا كان في زمنهم الماضي و ليس في زمن النبي ﷺ و أصحابه ، و قد أثبتت الدراسات التاريخية صدق مقولة القرآن الكريم .

٢. ﴿ **فَويلٌ لِّلَّذِين يكْتبونَ الْكِتاب بِأَيدِيهِم ثُم يقُولُونَ هـذَا مِن عِندِ اللّهِ لِيشترواْ بِهِ ثَمناً قَلِيلاً فَويلٌ لَّهم مما كَتبت أَيدِيهِم وويلٌ لَّهم مما يكْسِبونَ** ﴾ [2] ، و هذا وعيد من ذي الجلال و الإكرام للذين كتبوا هذه الأسفار بأيديهم فيما مضى ثم نسبوها لأنبياء الله ليشتروا بها عرض الحياة الدنيا و هو ثمن قليل جدا إذا قورن

---

[1] البقرة : ٧٥
[2] البقرة : ٧٩

بثواب الله ﷻ في الأخرة ، و لا يساوي العذاب الذي ينصب فوق رءوسهم حينئذٍ . و كما نرى أن الآيـة توكيد على مفهوم التحريف لا يختلف عليه أئمة المسلمين و عامتهم ، و في هذا أيضا يروي الدرامي في سننه عن أبي بردةَ ، عن أبي موسىٰ ، أن بني إسرائيلَ كَتبوا كِتاباً فَتبِعوه وتركُوا التوراةَ.[1]

٣. ﴿ وإنّ مِنهم لَفريقاً يلوون ألسِنتهم بِالكِتابِ لِتحسبوه مِن الكِتابِ وما هو مِن الكِتابِ ويقُولُونَ هو مِـن عِندِ اللّهِ وما هو مِن عِندِ اللّهِ ويقُولُونَ على اللّهِ الكَذِبَ وهم يعلمونَ ﴾ [2] و طبعا الآية تتحدث عن صورة من صور تحريف أهل الكتاب لمحتوى الأسفار ، و ليّ الألسنة قد فسره البعض على أنه تأويله على غـير مـا يحتمل دون تغيير الكلمة و البعض الأخر يفسره على أنه تغيير في الكلمة و المعنى معا و سواء كان هذا أم ذاك فالآية صريحة في قولها : ﴿ وما هو مِن عِندِ اللّهِ ﴾ ، بل و تؤكد على غشهم و تدليسهم و تضليلهم لعباد الله فتقول : ﴿ ويقُولُونَ على اللّهِ الكَذِبَ وهم يعلمونَ ﴾ و طبعا حسن النية هنا ليس متوفر ، بدليل ما ورد في الحديث الشريف عن أبي هريرةَ قال: كان أهلُ الكتاب يقرءُون التوراة بالعِبرانية ويفسرونها بالعربيـة لأهـل الإسلام فقال رسولُ الله ﷺ : «لا تصدقُوا أهلَ الكِتابِ ولا تكذبوهم وقُولُوا آمنا بِاللهِ ومـا أنـزِلَ ... الآية».[3] و تفسير هذا أي إن كان كذبا فلا تصدقوه و إن كان صدقا فلا تكذبوه ، مما يدل على اختلاط الحق بالباطل .

٤. ﴿ يأيها الرسولُ لا يحزنك الّذِين يسارِعونَ فِي الكُفْرِ مِن الّذِين قَالُوا آمنا بِأفْواهِهِم ولَم تؤمِن قُلُوبهم ومِن الّذِين هادوا سماعونَ لِلكَذِبِ سماعونَ لِقَومٍ آخرين لَم يأتوك يحرفُونَ الكَلِمَ مِن بعدِ مواضِعِه يقُولُونَ إنْ أوتيتم هـَذَا فَخذُوه وإن لَّم تؤتوه فَاحذَروا ومن يرِدِ اللّه فِتنته فَلَن تملِك له مِن اللّهِ شيئاً أولَـئِك الّذِين لَم يرِدِ اللّه أن يطَهر قُلُوبهم لَهم فِي الدنيا خِزيٌ ولَهم فِي الآخِرةِ عذَابٌ عظِيمٌ ﴾ [4] ، فقوله تبارك و تعالى (سماعون لقوم أخرين) و إن قال أهل التفسير إنها نزلت في يهود خيبر الذين أرادوا الهروب من حد الزنا[5] ، و لكنا نرى أنها تمتد فتشمل أهل الكتاب عامةً الذين توارثوا عن سابقيهم الأسفار المحرفة ، و كم من آية بالقرآن الكريم نزلت في قوم بعينهم و امتد معناها ليشمل ما بعدهم !

٥. ﴿ وإذَا قِيلَ لَهم آمِنوا بِما أَنزلَ اللّه قَالُوا نؤمِن بِما أُنزِلَ علَينا ويكْفُرونَ بِما وراءه وهو الحق مصدقاً لِّما معهم قُلْ فَلِم تقْتلُونَ أَنبِياءَ اللّهِ مِن قَبلُ إِن كُنتم مؤمِنِين ﴾ [6] ، و كما نرى تتحدث الأية الكريمة عن أهـل

---

[1] سنن الدرامي / ٤٨٥.
[2] آل عمران : ٧٨
[3] صحيح البخاري / ٧٣٦٢
[4] المائدة : ٤١
[5] تفسير الجلالين - سورة المائدة : ٤١
[6] البقرة : ٩١

الكتاب عندما دعاهم النبي ﷺ إلى الإسلام و إلى تصديق ما ورد بالقرآن الكريم فقالوا : بل نصدق ما لدينا من أسفار فتخبرنا الآية الكريمة عن حالهم أنذاك أنهم يكفرون ، أي يخفون و يغطون ، ما وراء أسفارهم من الحق . و يأمر الله ﷻ نبيه الكريم صلوات ربي عليه أن يسألهم : فلم إذن كان قتلكم لأنبياء الله إن كنتم تؤمنون بهم ؟! و في الآية كما نرى صورة أخرى من صور التحريف .

٦. ﴿ ولمّآ جآءهم رسولٌ من عِندِ اللّهِ مصدقٌ لّما معهم نبذَ فَرِيقٌ من الّذِين أُوتوا الْكِتاب كِتاب اللّهِ ورآءَ ظُهورِهِم كأنهم لا يعلمونَ ۞ واتبعوا ما تتلوا الشياطِين على مُلْكِ سليمانَ وما كفَرَ سليمانُ ولَـٰكِن الشياطِين كفَروا يعلّمونَ الناس السحر ومآ أُنزِلَ على الْملَكين بِبابِلَ هاروت وماروت وما يعلّمان مِن أحدٍ حتى يقُولا إِنما نحن فِتنةٌ فلا تكْفُر فيتعلّمونَ مِنهما ما يفرّقُونَ بِهِ بين الْمرءِ وزوجِهِ وما هم بِضآرين بِهِ مِن أحدٍ إلّا بِإِذْنِ اللّهِ ويتعلّمونَ ما يضرهم ولا ينفعهم ولقَد عِلموا لمن اشتراه ما لَه في الآخِرةِ مِن خلاقٍ ولِبئس ما شروا بِهِ أنفُسهم لو كانوا يعلمونَ ﴾ [1] و المقصود بالشياطين هنا طبعا ليس المعنى الحرفي للكلمة ، و لكن أولئك الذين كتبوا قصة نبي الله سليمان عليه السلام في الأسفار المقدسة بأنه قد كفر بربه و اتبع رغبات نساءه و صار يشيد لهن المعابد لعبادة الأوثان[2] ! و هل بعد الكُفر من ذنب ؟! فتلك تهمة عظيمة لا يحق بهم إلصاقها بنبي كريم إبن نبي كريم صلوات الله عليه و على أبيه و من اتبعهما بإحسان ، و قد برأه الله منها مكذبا لتلك الأسفار و ما تقص من حكايات ملفقة على أنبياء الله بغير الحق[3] ، و في هذا أيضا صورة من صور التحريف الذي لحق بالأسفار يكشفها القرآن الكريم ، و ذكره للحق كافي للرد على كل من يتقول بشهادته لأسفار أهل الكتاب .

٧. ﴿ وما قدروا اللّه حق قدرِهِ إِذْ قالوا مآ أنزلَ اللّه على بشرٍ من شيءٍ قُلْ من أنزلَ الْكِتاب الّذِي جآء بِهِ موسى نوراً وهدًى لّلناس تجعلُونه قراطِيس تبدونها وتخفُونَ كثِيراً وعلّمتم ما لم تعلموا أنتم ولا آباؤكُم قُلِ اللّه ثم ذَرهم فِي خوضِهِم يلْعبونَ ﴾ [4] ، و الآية واضحة جلية تتحدث عن الكتاب الذي جاء به موسى عليه السلام نورا و هدى للناس و هو التوراة ، فما حال هذا الكتاب عندهم وقت بعثة النبي ﷺ ؟ : ﴿ .. تجعلُونه قراطِيس تبدونها وتخفُونَ كثِيراً .. ﴾ ، و يقول الحافظ ابن كثير في تعليقه على هذه الآية : (تجعلون جملتها قراطيس أي قطعا تكتبونها من الكتاب الأصلي الذي بأيديكم وتحرفون منها ما تحرفون وتبدلون وتتأولون وتقولون هذا من عند الله أي في كتابه المنزل وما هو من عند الله) ، و الآية الكريمة رد على من يقول إن القرآن يشهد إن هناك نسخا من التوراة صحيحة في عهد بعثة النبي محمد ﷺ .

---

[1] البقرة : ١٠١ - ١٠٢
[2] راجع ما كتب عن نبي الله سليمان عليه السلام في سفر الملوك الأول ١١ / ١ - ١٣
[3] راجع أيضا ما كتب عن نبي الله لوط عليه السلام في تكوين ١٩ ، و عن نبي الله داوود عليه السلام في سفر صموئيل الثاني ١١ ، ١٢
[4] الأنعام : ٩١

o **موافقة القرآن الكريم للكتاب المقدس :**

أحيانا تأتي آيات القرآن الكريم موافقة لما ذكر في الكتاب المقدس في بعض المواضع مثل الآتي :-

١. ﴿ إِنآ أنزلنا التوراةَ فِيها هدًى ونورٌ يحكُم بِها النبيونَ الّذِين أسلموا لِلّذِين هادوا والربانيونَ والأحبار بِما استحفِظُوا مِن كِتابِ اللّهِ وكانوا عليهِ شهدآءَ فلا تخشوا الناس واخشون ولا تشتروا بِآياتي ثمناً قليلاً ومن لّم يحكُم بِمآ أنزلَ اللّه فأولَـئِك هم الكافِرونَ ۞ وكتبنا عليهم فِيهآ أنّ النفسَ بِالنفْسِ والعين بِالعين والأنف بِالأنفِ والأذُنَ بِالأذُنِ والسن بِالسن والجروح قِصاصٌ فمن تصدق بِهِ فهو كفّارةٌ لّه ومن لّم يحكُم بِمآ أنزلَ اللّه فأولَـئِك هم الظّالِمونَ ﴾ [1] ، و التوراة المذكورة في الآية الكريمة ليست تلك التي بأيدي أهل الكتاب اليوم ، و لكن التي أنزلها الله على موسى عليه السلام فيها هدى و نور يحكم بها (أي يتبع شريعتها) النبيون (و قيل منهم محمد ﷺ) لعامة اليهود و الربانيين (و هم العلماء) و الأحبار (و هم الفقهاء) ، و في ذلك إشارة أنهم يغيرون معاني التوراة كيفما يرون و يصححها الأنبياء كما أراد اليهود اخفاء آية الرجم و أظهرها لهم النبي ﷺ في الحادثة المشهورة . و معنى (أسلموا) أي خضعوا وانقادوا لأمر الله فيما بعثوا به ، فيقول لهم الله ﷻ ألا يخشوا الناس و هو أحق منهم بالخشية فلا يبدلوا كلماته و أحكامه في إظهار ما عندهم من نعت محمد ﷺ والرجم وغيرها و لا يشترون بأياته ثمنا قليلا بكتمانها و تغيير معانيها . و تأتي الآية التالية مصادقة لما ورد في التوراة بهذا الخصوص [2] ، و هنا نرى النصارى يقولون ها هو القرآن يأتي مصادقا للكتاب المقدس دليلا على صحته متناسين أن تلك الأسفار قد اختلطت فيها كلمات الوحي الإلهي بكلماتهم فعندما يقول الله تعالى : ﴿ وكتبنا عليهم فِيهآ أنّ .. ﴾ دليلا على أن هذا كان من الوحي الإلهي يذكره الله ﷻ صافيا خالصا غير مختلطا بكلمات البشر ، و الدليل على ذلك قوله تعالى : ﴿ ... ومن لّم يحكُم بِمآ أنزلَ اللّه فأولَـئِك هم الظّالِمونَ ﴾ فهو أمر لأهل الكتاب بالحكم بأيات الله ، و كيف يكون ذلك إلا إذا كان ما بين أيديهم ليس قويما بل محرفا لا يحوي أحكام الله ؟!

٢. ﴿ ولقد كتبنا فِي الزبورِ مِن بعدِ الذّكْرِ أنّ الأرض يرِثُها عِبادِي الصالِحونَ ﴾ [3] و هو موافق لما في زبور داوود [4] و الذي ضمن الكتاب المقدس و ينطبق عليه ما سبق و ذكرنا ، و يقول بعض علماء الكتاب المقدس إن سفر المزامير هي عبارة عن أغاني و أشعار كتبها داوود عليه السلام و أخرين في حب الله و لا تحتوي على أحكام كأسفار التوراة مثلا ، فنقول : إن المقصود بكلمة الزبور في القرآن قيل هو الكتاب الذي أوتي داوود عليه السلام من

---

[1] المائدة : ٤٤ - ٤٥

[2] راجع ما ذكر في سفر الخروج ٢١ : ٢٣ - ٢٧

[3] الأنبياء : ١٠٥

[4] راجع ما كتب في مزمور ٣٧ : ١١ ، ٢٢ ، ٢٩

ربه ، و قيل هو حلاوة الصوت و عذوبته و الترتيل الذي اشتهر بها داوود عليه السلام و لكن الثابت عندنا أنه كتاب من الله تعالى فيه هدى و نور .

٣. ﴿ وعلى الّذِين هادوا حرمنا كلّ ذِي ظُفُرٍ ومِن البقرِ والغنمِ حرمنا عليهم شحومهمآ إِلاّ ما حملت ظُهورهما أوِ الحوايآ أو ما اختلط بِعظمٍ ذلِك جزيناهم بِبغيِهِم وإِنا لصادِقُون ﴾ [1] و موافقة ذلك تدل على صدق الله تبارك و تعالى فيما كان يقوله للرسول ﷺ بشأن اخفاء اليهود بعض كلمات التوراة عنه و ذكر الكذب بشأنها ، و في ذلك دليلا على أن القرآن يذكر الحق و الأصل الذي تم تحريفه على أيدي أهل الكتاب و في هذا شهادة على كذب اليهود و ذكر لما كان قبل التحريف .

- معاني مفتقدة في أسفار الكتاب المقدس :

و نقرأ في أيات القرآن الكريم العديد و العديد من المعاني المنسوبة إلى توراة موسى عليه السلام أو انجيل عيسى عليه السلام أو إلى كليهما معا ، و نفتقد هذا المعنى عندما نبحث عنه بين طيات الكتاب المقدس بصورته الحالية مما يؤكد تغيره بصورة كبيرة و هذا التغير تأكيدا لمفهوم التحريف ، و من هذه الأيات :-

١. ﴿ بل تؤثِرون الحياة الدنيا ۝ والآخِرةُ خيرٌ وأبقى ۝ إِنّ هذا لفِي الصحفِ الأولى ۝ صحفِ إِبراهِيم وموسى ﴾ [2] ، و المعروف أن الأسفار الخمسة المنسوبة إلى موسى عليه السلام تخلو من الحديث عن الأخرة و القيامة فضلا عن مقارنتها بالحياة الدنيا ، و لذلك فإن الكثير من طوائف اليهود لا تؤمن بالبعث بعد الموت و لا الحساب و لا الجزاء و لكنه حساب دنيوي و جزاء فوري فقط ، فماذا يعني هذا ؟!.

٢. ﴿إِنّ اللّه اشترى مِن المؤمِنِين أنفُسهم وأموالهم بِأنّ لهم الجنة يقاتِلون فِي سبِيلِ اللّهِ فيقتُلون ويقتلون وعداً عليهِ حقّاً فِي التوراةِ والإِنجِيلِ والقُرآنِ ومن أوفى بِعهدِهِ مِن اللّهِ فاستبشِروا بِبيعِكُم الّذِي بايعتم بِهِ وذلِك هو الفوز العظِيم ﴾ [3] ، و لا وجود لهذا المعنى في الكتاب المقدس بعهديه القديم و الجديد !

٣. ﴿ الّذِين يتبِعون الرسول النبِي الأمي الّذِي يجِدونه مكتوباً عِندهم فِي التوراةِ والإِنجِيلِ يأمرهم بِالمعروفِ وينهاهم عنِ المنكرِ ويحِلّ لهم الطّيباتِ ويحرم عليهِم الخبآئث ويضع عنهم إِصرهم والأغلال الّتِي كانت عليهِم فالّذِين آمنوا بِهِ وعزروه ونصروه واتبعوا النور الّذِي أنزِل معه أولـئِك هم المفلِحون ﴾ [4] ، و طبعا المقصود هو النبي محمد ﷺ الذي أنزل الله عز وجل من قبل صفته في التوراة و الأنجيل و بالرغم من أبحاث العلماء و الباحثين المسلمين لإثبات هذا الأمر يجمع علماء الكتاب المقدس على عدم وجوده !

---

[1] الأنعام : ١٤٦
[2] الأعلى : ١٦ - ١٩
[3] التوبة : ١١١
[4] الأعراف : ١٥٧

و أمثال تلك الأيات كثيرة في القرآن الكريم ، و نفتقد معانيها في تلك الأسفار المقدسة عند أهل الكتاب اليوم ، و هذا موذن ببطلان استدلالهم من القرآن الكريم على توثيق ما في أيديهم من الكتب ؛ إذ أن توثيق القرآن الكـريم و مدحه إنما كان لكتب الله الصحيحة و المنزلة على أنبيائه عليهم صلوات الله و سلامه عليهم جميعا لا على المحرف مـن كتبهم و المنسوب زورا إلى الله ﷻ .

o هيمنة القرآن الكريم على الكتاب المقدس :

قال تعالى : ﴿ **وأنزلنآ إليك الكِتاب بِالحق مصدقاً لّما بين يديه مِن الكِتاب ومهيمناً عليه ...** ﴾ [1] ، و الهيمنة في اللغة هي الحفظ و السيطرة و المراقبة[2] ، و في تفسير هذه الكلمة قال الحافظ ابن كثير : (.. اسم المهيمن يتـضمن هذا كله فهو أمين وشاهد وحاكم على كل كتاب قبله جعل الله هذا الكتاب العظيم الذي أنزله آخر الكتب وخاتمهـا وأشملها وأعظمها وأكملها حيث جمع فيه محاسن ما قبله من الكمالات ما ليس في غيره فلهذا جعله شـاهدا وأمينـا وحاكما عليها كلها وتكفل تعالى حفظه بنفسه الكريمة) .

و يحاول بعض النصارى و منهم المؤلف استغلال هذا المعنى لصالحهم فيقولون : (*أما وأنّ القرآن يصرح أنه جاء مصدقاً لما بين يديه ويحرض على التمسك به والاحتكام إليه، ويدعو إلى الإيمان بما فيه. ويثني عليه الثناء العاطر الجميل، فلا مفر من التسليم بسلامة الكتاب من التحريف قبل ظهور الإسلام، وإلا لأضحى كلام القرآن عبثاً، لأنـه يكـون تصديقاً لمحرف، وهيمنةً على باطل*) . و طبعا هي دعوى باطلة ، فقد رأينا أن الثناء و المدح كان للكتـب الأصـلية المنزلة على أنبياء الله و التي حرفها أهل الكتاب ، أما الهيمنة فهي على التعاليم لا على الألفاظ ، و قد جاء القرآن الكريم الذي تعهد الله بحفظه مؤكدا لها مصدقا لما سبقه من الكتب .

o الناسخ و المنسوخ في القرآن الكريم :

كثيرا ما يتناول النصارى في محاولاتهم للنيل من القرآن الكريم موضوع الأيات المنسوخة و الأيات التي نسختها ، و الواضح إنهم كثيرا ما يتكلمون عن جهل ظاهر بين بموضوع النسخ في القرآن ، و عندما تكلـم المؤلـف في هـذا الموضوع كان لغرض أن يدخل منه ليثبت لقرائه أن القرآن الكريم لم ينسخ الكتاب المقدس و هو مدخل ماكر طبعا و لكن الرد عليها بعد ما سلفنا شرحه قد صار هينا فنقول : إن التعاليم السامية التي وردت في الكتب السماوية الـسابقة للقرآن قد جاء القرآن مصدقا لها مؤمنا بها مهيمنا عليها ، أما الألفاظ و الأسفار و القراطيس قد ضيعها أهل الكتـاب بالتحريف و الزيف ، و لذا فقد تعهد الله بحفظ القرآن الكريم بنفسه كي لا تضيع كلمته و شـريعته الأبديـة و بـذا فيكون القرآن لم ينسخ ما قبله من الكتب .

و الآن ليسمح لى القارئ الكريم أن نناقش سويا مفهوم نسخ آيات القرآن الكريم بعضها لبعض كما رأه المؤلف لنعرف مبلغ كلامه من الصحة ، يقول المؤلف : (*والعمدة في النسخ عند المسلمين هو النقل الصحيح والتاريخ الصادق*

---

[1] المائدة : ٤٨

[2] المعجم الوجيز – طبعة المطابع الأميرية بمصر ١٩٩٠

لا الرأي والاجتهاد. ولهذا فلسنا ندري على أي سند يستندون في دعواهم بنسخ الكتاب المقدس بالقرآن، مع أن القرآن والأحاديث خالية من الإشارة إلى هذا. صحيح أن القرآن قد ذكر نسخاً، ولكنه نسخ آياته بعضها البعض، لا نسخه هو للكتاب المقدس. فهم مثلاً يقولون إن آية إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِئُونَ وَالنَّصَارَى مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحاً فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ (سورة المائدة ٥: ٦٩). منسوخة بآية : وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِيناً فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ (سورة آل عمران ٣: ٨٥). ولو صح أن المائدة ٦٩ منسوخة بآل عمران ٨٥ كما يقولون ، فإننا ننزّه الله تعالى عما يترتب على نسخها، لأنه وهو الذي وسع علمه كل شيء المنزّه عن الخطأ المستلزم التصحيح بالتغيير والتبديل قد وعد من آمن به وباليوم الآخر وعمل صالحاً أن يجزيهم الجزاء الحسن، وأنه لا خوف عليهم ولا هم يحزنون، والله غير مخلف وعده ولو كره المبطلون ، فالقول بنسخ هذه الآية لا يأنس إليه العقل، ولا يثبته المنطق لأنه لو ثبت نسخها فقد أخلف الله وعده بالأجر لمن آمن به وعمل صالحاً، والله عز وجلّ منزّه عن الوقوع في مثل هذا العمل المشين.

كما يقولون إن آية : لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ (سورة البقرة ٢: ٢٥٦) منسوخة بقوله: قَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ (سورة التوبة ٩: ٢٩) وآية : يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ (سورة البقرة ٢: ٢١٩). منسوخة بقوله: إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ (سورة المائدة ٥: ٩٠) وهكذا.) انتهى الأقتباس من كلام المؤلف .

و طبعا كلامه غير صحيح و يدل على جهل بتفسير القرآن ؛ فالآية ٦٩ من سورة المائدة لا تعمم و لا تشمل جميع الفئات المذكورة ، بل تقول : ﴿ **.. من آمن بالله واليوم الآخر وعمل صالحاً..** ﴾ ، سبق و قد أشرنا[1] من قبل أن (من) تبعيضية و يذهب بعض المفسرين إلى أنها تشير إلى أهل الكتاب ممن اتبعوا الأنبياء رضوان الله عليهم أي من قبل دعوة محمد ﷺ و لا تشير إلى أهل الكتاب اليوم ، أما في الآية ٨٥ سورة آل عمران فيقول الحافظ ابن كثير : (أي من سلك طريقا سوى ما شرعه الله فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين كما قال النبي ﷺ في الحديث الصحيح من عمل عملا ليس عليه أمرنا فهو رد عليه) ، و يقول القرطبي : (نزلت هذه الآية في الحارث بن سويد أخو الحلاس بن سويد، وكان من الأنصار، ارتد عن الإسلام هو واثنا عشر معه ولحقوا بمكة كفارا، فنزلت هذه الآية، ثم أرسل إلى أخيه يطلب التوبة. وروي ذلك عن ابن عباس وغيره. قال ابن عباس: وأسلم بعد نزول الآيات.) ، و هكذا ، فإننا نرى أن هذه الآية غير منسوخة بالآية السابقة بل لا علاقة لها بأهل الكتاب أصلا الذين يقول المؤلف إن الله وعدهم أن يجزيهم الجزاء الحسن ، وأنهم لا خوف عليهم ولا هم يحزنون ! ثم ينزه الله ﷻ عما يترتب على نسخها من إخلافه لوعده !!

.... و لا تعليق !!

---

[1] الفصل الأول – تحت عنوان (**القرآن و النصارى**) .

و إذا رجعنا إلى أراء كبار علماء الإسلام في مفهوم نسخ الأيات في القرآن الكريم نجد أن الحكمة الواضحة من النسخ هو التدرج في التشريع تسهيلا على معشر المسلمين فإذا تدبرنا مثلا تحريم الخمر – و الذي اعتبرها المؤلف عن غير فهم – فنجد أن انتشار الخمر ببيوت العرب كان كبيرا في ذلك الوقت و كانت معاقرة الخمر امرا غير منكرا حتى بين الكثير من المسلمين عقب انتشار الإسلام ، كان كذلك بعض الأطباء يستخدمونها في التداوي من بعض الأمراض . فلو كان تحريم الخمر بالأمر المباشر لشق ذلك على مدمنيها من المسلمين و كان ذلك فتنة لهم في دينهم ، و لذلك كان تحريم الخمر تدريجيا بدأ بقوله تعالى : ﴿ **يسألونك عن الخمر والميسِر قُلْ فِيهمآ إِثْمٌ كَبِيرٌ ومنافِع لِلناس وإِثْمهمآ أكْبر مِن نفْعِهِما ويسألونك ماذَا ينفِقُونَ قُل العفْو كذَٰلِك يبين اللَّه لكُم الايات لعلّكُم تتفكّرونَ** ﴾[1] و هكذا بدأ اغلب المسلمين التخفيف من تعاقر الخمر استجابة للأية الكريمة و تأسيا بالنبي ﷺ الذي لم يشرب الخمر قط . و بعد ذلك نزلت الأية الكريمة : ﴿ **يا أيها الّذِين آمنوا لا تقْربوا الصلاةَ وأنتم سكَارى حتى تعلموا ما تقُولُونَ ..** ﴾[2] و كان ذلك ايذانا بعدم تعاقر الخمر طوال النهار لتقارب مواقيت الصلاة ، و على الرغم من ذلك ظل بعض المسلمين يعاقرونها عقب صلاة العشاء و هم كارهون لذلك ، متمنين من الله ﷻ أن ينزل في الخمر قولا صريحا ليساعدهم على تركها ، فنزل قول الله تعالى : ﴿ **يـَأيها الّذِين آمنوا إِنما الْخمر والْميسِر والأنصاب والأزلام رِجسٌ مـن عمـل الشيطان فَاجتنِبوه لَعلّكُم تفْلِحونَ ۞ إِنما يريد الشيطانُ أن يوقِع بينكُم العداوةَ والْبغضآءَ فِي الْخمر والْميسِر ويصدكُم عن ذِكْرِ اللّهِ وعنِ الصلاةِ فَهلْ أنتم منتهونَ** ﴾[3] ، و يحكي كتاب السيرة أن المسلمين قد القوا بقوارير الخمر من بيوتهم في قارعة الطرقات حتى صارت انهار الخمر تجري في شوارع يثرب وسط قول المسلمين : (انتهينا يا رب) !.. ، فإذا تدبرنا كيف جاء التدرج في التشريع بتحريم الخمر تخفيفا عن المسلمين في ذلك الوقت لتدبرنا كيف كان نسخ بعض أيات القرآن الكريم دون وجود التفكر بوجود تناقضا بينهم .

أما بالنسبة للآية ٢٥٦ من سورة البقرة ، فتأمر المؤمنين ألا تكرهوا أحدا على الدخول في دين الله ؛ فإنه بين واضح جلى دلائله وبراهينه لا يحتاج إلى أن يكره أحد على الدخول فيه بل من هداه الله وشرح صدره ونور بصيرته دخل فيه على بينة أما من أعمى الله قلبه وختم على سمعه وبصره فانه لا يفيده الدخول في الدين مكرها مقسورا وقد ذكر الحافظ ابن كثير أن سبب نزول هذه الآية في قوم من الأنصار وإن كان حكمها عاما فيما بعد ، أما الآية ٢٩ من سورة التوبة فقد تناولناها بالشرح عندما تكلمنا عن الجزية[4] فالقتال المذكور فيها عند امتناعهم عن أداء الجزية و هذا -كما سبق و قلنا - يعد فتنة يجب وأدها فورا ، فلا تعارض بين الأيتين و لا أحدهما منسوخة بالأخرى .

---

[1] البقرة : ٢١٩ .
[2] النساء : ٤٣ .
[3] المائدة : ٩٠ – ٩١ .
[4] الفصل الأول – تحت عنوان (**الجزية**) .

و في نهاية الفصل الثاني يورد المؤلف إن الكتاب المقدس كتاب الله الحق و على المسلمين مطالعته و العمل بما جاء فيه !! ، و نتساءل : و ما بال القرآن الكريم بالنسبة للمسلمين إذا تعارض في أياته مع نصوص الكتاب المقدس ؟ و أيهما نتبع ؟.. أوهل نتبع الكتاب المقدس ؟!

o مطالعة المسلمين للكتاب المقدس :

و قد ورد في هذا حديث في سنن الدرامي يقول : أن عمر بن الخطابِ ﷺ أتى رسولَ الله ﷺ بنسخةٍ من التوراةِ فقال : يا رسولَ اللهِ هذه نسخةٌ من التوراةِ فسكت، فجعلَ يقرأُ ووجه رسول اللهِ يتغير ، فقال أبو بكرٍ ثَكِلَتك الثواكِلُ ما ترى بوجهِ رسول اللهِ ﷺ ، فنظَر عمر إلى وجهِ رسول اللهِ ﷺ فقالَ: أعوذُ باللهِ مِن غَضبِ اللهِ، ومن غَضبِ رسولِهِ رضينا باللهِ رباً وبالإسلامِ ديناً وبمحمدٍ نبياً، فقال رسولُ اللهِ ﷺ : **«والذي نفس محمدٍ بيدِهِ لو بدأ لكُم موسىٰ فاتبعتموه وتركْتموني لَضلَلْتم عن سواءِ السبيل، ولو كانَ حياً وأدرك نبوتي لاتبعني».**[1] و معنى الحديث أن النبي ﷺ ينهى عن مطالعة كتب أهل الكتاب عن تصديقٍ لما فيه ، و يورد أحد الكتاب النصارى[2] أنه يفهم من هذا أنه كانت هناك احدى النسخ من التوراة في ذلك الوقت و ان محمدا ﷺ لم يقل شيئا عن تحريفها ! و لا ندري كيف فهم ذلك الكاتب هذا المفهوم دون وجود أي دليل على ذلك بالحديث الشريف ، بل على العكس ؛ فتغير وجه النبي ﷺ ايذانا بالنهي التام عن مطالعة التوراة عن تصديق لما فيها .

و أيضا ورد في صحيح البخاري أن ابن عباسٍ ﷺ قال: كيف تسألون أهلَ الكتاب عن شيء وكتابكم الذي أنزلَ على رسول الله ﷺ أحدثَ. تقرؤونه محضاً ولم يشب، وقد حدثكم أن أهلَ الكتاب بدلوا كتاب الله وغيروه، وكتبوا بأيديهم الكتاب وقالوا هو من عندِ اللهَ ليشتروا به ثمناً قليلاً، لا ينهاكم ماجاءكم من العلم من مسألتهم، لا والله ما رأينا منهم رجلاً يسألكم عنِ الذي أنزل عليكم .[3]

و نقول : إن مطالعة الكتاب المقدس بالنسبة للمسلمين يجب أن تكون في ضوء ما ورد في القرآن و السنة و ما سبق و أوضحناه في هذا الفصل ، فالأمر لا يخلو أحيانا من مطالعة المسلم له للدراسة مثلا كما نفعل نحن الأن . أما العمل بما جاء فيه فلا يلزمنا كتابنا بهذا ، و ليكتفي المؤلف بنصح أتباعه من النصارى و ليبعد عن المسلمين !

o الخلاصة :

و بعد أن قرأنا هذا الفصل نخلص منه بأن القرآن الكريم أبدالم يمدح الكتاب المقدس الذي بأيدي أهل الكتاب بصورته الحالية ، بل كان المديح و الثناء واقعا على الكتب الأصلية التي أنزلها الله تعالى على عباده المخلصين ، و أن القرآن الكريم لا يقر بصحة الكتاب المقدس و بسلامته من التحريف بل يؤكد على التحريف الواقع فيه و يورد بعض المواضع التي تم فيها التحريف و يورد أيضا الحق فيها ، و إن موافقته لبعض كلمات الكتاب المقدس لا تعد دليلا على

---

[1] سنن الدرامي / ٤٤٠

[2] د. وليم كامبل في كتابه (**القرآن و الكتاب المقدس** في **ضوء العلم و التاريخ**) .

[3] البخاري / ٧٣٦٣ - كتاب الإعتصام – باب لا تسألوا أهل الكتاب عن شيء

صحة هذا الكتاب فإن هناك العديد من الأيات المعارضة ؛ فإذا ربطنا بينهم جميعا نستنتج اختلاط كلمات الله المنزلـة بكلمات البشر ممن حرفوا الكتب و غيروا ما فيها .

أما بالنسبة للكتاب المقدس فقد أكد القرآن أن أهل الكتاب قد كتبوه بأيديهم و نسبوه لله ﷻ لا إلـه إلا هـو سبحانه و تعالى عما يشركون ، و قد أكدت هذا المعنى العديد من الدراسات التي قام بها البـاحثون النـصارى قبـل المسلمين و التي أوردنا نبذة عنها .

أما بالنسبة للنسخ فإن القرآن الكريم جاء من عند الله ﷻ مصدقا لما سبقه من الكتب الصحيحة لا المحرفة حافظا لشريعة الله و مهيمنا عليها و هذه الشريعة و التي وردت في هذه الكتب في صورة تعاليم قد وردت من جديد في القرآن و بذا فهو حافظا لها مهيمنا عليها و لا علاقة له بالألفاظ و القراطيس و الأسفار التي حرفها أهل الكتاب .

المبحث الثالث :

القُرْآنُ الكَرِيمُ والتَّثْلِيثُ

***

بسْمِ اللهِ الرَّحمنِ الرَّحِيْمِ

لَّقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ ثَالِثُ ثَلَٰثَةٍۘ وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّآ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌۚ

وَإِن لَّمْ يَنتَهُواْ عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْهُمْ عَذَابٌ

أَلِيمٌ ﴿٧٣﴾

قرآن كريم - سورة المائدة

ذُكر التثليث لأول مرة في عقيدة النصارى في القرن الثاني الميلادي على يد ترتوليان (١٦٠ : ٢٢٠ م) و الذي كان اسقف كنيسة قرطاجنة بشمال افريقيا كما جاء في قاموس الكتاب المقدس ، و قد خالفه الكثير من أباء الكنيسة أنذاك منهم سبيليوس و غيره ، و بدأ في الأنتشار بعد تنصر الإمبراطور الروماني قسطنطين في القرن الرابع الميلادي ، و لكن فيما قبل ذلك لم يكن له أي ذكر[١] ؛ لأنه ، و بكل بساطة ، لا يوجد له أدلة صريحة على لسان المسيح في الأناجيل الأربعة أو في اسفار العهد القديم كما وردت في المخطوطات القديمة التي يتفاخر النصارى بكثرتها ، و لذا فطفقوا يبحثون عن تلك الأدلة في القرآن الكريم لعلهم يؤكدون ذلك لغيرهم !!

o (١ + ١ + ١ = ١) !! :

يقول المؤلف محاولا تقريب ما أسماه بسر التثليث لأذهان القراء فيقول : (*... فالقول بثلاثة أقانيم لا يعني القول بثلاثة آلهة، لأن تعدد الخواص والصفات لا يستلزم تعدد الذات، ... ولزيادة الإيضاح نقول: هب أن لديك مثلثاً متساوي الأضلاع، نقش على كل ضلع منه حرف معين، وليكن أ، ب ، ج. فلو نظرت إلى هذا المثلث لوجدته واحداً، ولكنك إذا ميزته بما نقش على أضلاعه لما وسعك إلا أن تطلق على كل منها اسمه الخاص المتميز به عن الضلعين الآخرين.*) .

و نقول : إن هذا المثل لا ينطبق أبدا على الله ﷻ ؛ فالمثلث الثلاثي الرؤوس المسماه كل رأس بحرف لا تشابه الله المتعدد الخواص و الصفات ، فصفاته تبارك و تعالى لا عدد لها و لا حصر لها و له في القرآن الكريم تسعة و تسعون اسما ، أفهل نستطيع أن نقول أن هناك تسعة و تسعون أقنوما أو ذات أو ... ؟! لماذا تتوقف الصفات المعترف بها عند ثلاثة و لا تتخطى ذلك فتصير أربعة مثلا أو أكثر من ذلك أو أقل من ذلك ؟! أما بالنسبة للمثلث المتساوي الأضلاع فإن المؤلف يغض الطرف عن أن الضلع الواحد لا يشكل مثلثا في الوقت الذي يقولون فيه إن الآب أقنوم كلي القدرة ، والابن أقنوم كلي القدرة ، وروح القدس أقنوم كلي القدرة . فنحن لا نستطيع القول ان الضلع (ا) مثلث، والضلع (ب) مثلث، والضلع (ج) مثلث ،كما لا نستطيع اتخاذه مثلا على تعدد صفات الله ﷻ كما أوردنا أنفا .

و تعقيبا على هذا يقول المؤلف : (*الله موجود بذاته ، ناطق بكلمته ، حي بروحه .. ذلك هو الثالوث الأقدس عند المسيحيين*) و نعقب نحن فنقول : الله موجود بذاته ، ناطق بكلمته ، حي بروحه ، قادر بقدرته ، محب برحمته ، محيط بالكل بعلمه ، مريد بإرادته ، ... فلماذا وقفت الأقانيم عند ثلاثة و لا تكون سبعة مثلا ؟!..

ويتمادى النصارى اكثر محاولين تقريب فكرة الثالوث من العقل فيضربون الامثال في تصوير إلههم المثلث الأقانيم فيشبهوه تارة بالشمس التي ينبثق عنها الضوء والحرارة . ولكنهم يغضون الطرف عن أن الضوء ضوء و ينتج عن المصباح أو غيره وليس شمس ولا هو مساو للشمس لو ذكر بدونها ، والحرارة حرارة وليست شمسا ولا مساوية

---

[١] الله جل جلاله واحد أم ثلاثة ؟ - د. منقذ محمود السقار ، (نشأة التثليث في النصرانية) ص ٩٤ .

للشمس لو ذكرت بدونها ، والضوء والحرارة سواء منفردين او مجتمعين ليسا شمسا ولا يساويان الشمس . بينما إلههم المثلث كل أقنوم فيه منفرد بذاته عند الكاثوليك و البروتستانت و مترابط متكامل عند الأرثوذكس ، وكـلٌ مـساوٍ للآخر..! و سواء عند هؤلاء أو أولئك فهي صورة جلية من صور الشرك بالله و الله المستعان . و هكذا ، فمهما أورد النصارى من أدلة كالشمس مثلا أو النار التي لها ضوء و حرارة و لهب ، و الأنسان موجود و ناطق و حي ، و المثلث (أ ب ج) المتساوي الأضلاع و غير ذلك كثير ، إنما تلك الأقوال هي ضرب من الفلسفة و لا تمت للفطرة بـصِلة و ليس لها وجود في الأسفار التي يعتدون بقدسيتها ! و مهما شبهوا الحق تبارك و تعالى الذي لم يره أحد بأشياء مما يروها كل يوم وضربوا لأنفسهم أو لغيرهم الأمثال فتشبيهاتهم كذب وأمثلتهم هراء ! إذ ليس لله مثيل ولا شبيه مما نـراه أو نعرفه ؛ فلا عين رأته ولا أذن سمعته ، فكيف يستطيع انسان أن يشبه ما لم يره وما لم يسمعه بشيء يعرفه؟!!

هب أيها القاريء الكريم إنك طالب في مدرسة أو جامعة وسألك أستاذك : شبه لي شيئا لم تره في حياتك ولم تسمع صوته مطلقا بشيء مما حولك؟! فماذا سيكون جوابك؟.. حتى لو كنت دارسا لفلسفة اللامعقول فسوف تسمي هذا ضرب من الجنون !!.

وهذا الشطط والخلط بين الله ﷻ وعيسى ﵇ وروح القدس يسمونه سراً ! و لكن الدين الحق الذي من عند الله ليس فيه أسرار ؛ فهذه الأسرار المزعومة من صنع قساوسة الكنيسة البشر عندما أعلن الناس أمامهم استحالة فهـم عقيدتهم ، فافتعلوا ذلك ليحيطوا عقيدتهم الذي ابتدعوها بهالة من الغموض والقداسة الكاذبة ! و الدليل على ذلك هو قول المنصرين لتابعيهم : آمِن أولا ثم تفهم بعد ذلك ، فلا عليك لو لم تفهم الآن !.. كيف يكون هـذا ؟ إن الـدين السماوي يكون فطريا قريبا من العقل يتماشى مع المنطق لا يناصبهما العداء . الدين الحق الذي هو من عنـد الله هـو ذلك الدين الذي يكون مستجيبا للفطرة الانسانية التي فطر الله الناس عليها ؛ فيربط الانسان المخلوق بـرب العـرش سبحانه ، والدين الباطل هو ذلك الدين الذي يتنافى مع الفطرة الكامنة في الانسان فيربطه بغير الخالق ؛ إنسانا كان أو ظاهرة طبيعية أو غير ذلك. والدين الحق عادة يكون قد نزل من السماء ولم تمتد له بالتحريف يد ، والدين الباطل عادة يكون من اختراع إنسان يفرض على الناس فرضاً .

- **صفات الله في القرآن الكريم :**

و يحاول المؤلف التعرض لمفاهيم صفات الله في معتقد المسلمين فيقول : (*وقد وصف القرآن الله تعالى بصفات الجوهر القابل للعرض في كثير من آياته كقوله: هو الحي القيوم هو على كل شيء قدير هو بكل شيء عليم إنـه هـو السميع البصير. بل لقد ذكر القرآن لله صفات وصفَه فيها بالوقوع تحت العوامل النفسية كالسخط والغضب والحسرة والنسيان ، فقال: إن سخط الله عليهم (المائدة ٥: ٨٠) أي غضب الله عليهم يا حسرة على العباد (يـس ٣٦: ٣٠) اليوم ننساهم (الأعراف ٧: 51) .وجاء في صحيح البخاري: ربي غضب اليوم غضباً لم يغضب قبله مثله ولا يغـضب بعده مثله ولقد زاد القرآن فجعل لله وجهاً وعينين باصرتين ويدين مبسوطتين، وأنه يستوي على العرش ويدنو ويتدلى، ويأتي والملائكة صفاً، ... إلى غير ذلك من صفات الجوهر القابل للعرض، ومع أن المسلمين ينزهون الله عنـها مثلنـا.*

وكل ما بيننا وبينهم في هذه القضية هو أنهم يقولون: إن الجوهر ما قَبِلَ العرض ودخل في الحيز، فيستحيل في حـق الله تعالى أن يكون جوهراً يقبل العرض ويشمله الظرف.)

حقا قد أثبت المؤلف و غيره من النصارى ممن احترفوا تحريف الكلِم عن مواضعه أنهم لا يفهمون الله تبـارك و تعالى حق فهمه[١] ؛ فعندما ذكر الله ﷻ وصفه في القرآن قال تعالى لا إله إلا هو : ﴿ **... ليس كَمِثْلِهِ شـيءٌ وهـو السميع البصير** ﴾ [٢] ، فإذا أدركنا ووعينا هذا المفهوم جيدا ندرك بعد ذلك صفات الله ﷻ بمنتهى السهولة .

فعندما نقرأ قوله تعالى : ﴿ **.. يد اللّهِ فَوق أيدِيهم ..** ﴾ [٣] لا نسأل الله ﷻ يد مثلنا ؟ و لكن نفهم أنه تبارك و تعالى لا مثيل له بل قد يكون مقصود باليد أي القوة و البطش و القدرة ؛ أي ننزه الخالق ﷻ عن صفات المخلـوق .

كذلك عندما نقرأ : ﴿ **... بلْ يداه مبسوطَتان ..** ﴾ [٤] أي أنه يمنح و يعطي من يشاء بغير حساب ، بدليل أنه قال بعد ذلك عز من قائل : ﴿ **... ينفِق كَيف يشآءُ وليزيدنّ كَثيراً منهم ..** ﴾ [٥] أي يعطي بفضله و ينفق كيف يـشاء مـن توسيع وتضييق لا اعتراض عليه من أحد و ليزيدن كثير منهم من فضله و ليس لفضله حساب . و أيضا عندما نقـرأ : ﴿ **.. كُلّ شيءٍ هالِكٌ إلاّ وجهه ..** ﴾ [٦] أي إلا إيـاه ﷻ و غير مقصـود الوجه بمعناه الحرفي . و نقيس على ذلـك في باقي الأيات .

كذلك الصفات التي وصفها المؤلف بأنها تقع تحت العوامل النفسية كالغضب و السخط و النـسيان و غـيره ، فأيضا نرد و نقول : إن تلك الصفات أيضا ليست كمثيلتها عند البشر ؛ فغضب الله ﷻ يصاحبه ما لا يصاحب مثيله عند البشر و لا يطيقه أحد منا و الله المستعان ، كذلك النسيان فلا يعني هنا أي أن ينمحي من الذاكرة معـاذ الله ، و لكن هذا تعبير عن التجاهل مثلا و عدم الإكتراث و مِثل ذلك ، و لأن الخوض في تلك المسائل بغير علم لهو ضرب من الفساد فقد قال الله تعالى في كتابه العزيز ناصحا المؤمنين من عباده : **فَلا تضربوا لِلّهِ الأمثَالَ إنّ اللّه يعلم وأنتم لا تعلمونَ** [٧] و خير ما وصف به الله ﷻ في القرآن موضحا تعدد صفاته و أسمائه قوله تعالى : **هو اللّه الّذِي لا إِلَـهَ إلاّ هو عالِم الغيب والشهادةِ هو الرحمـنُ الرحِيم ۞ هو اللّه الّذِي لا إِلَـهَ إلاّ هو الملِك القُـدوس الـسلام المؤمِن المهيمِن العزيز الجبار المتكبر سبحانَ اللّهِ عما يشركُونَ ۞ هو اللّه الخالِق البارِىءُ المصور لَهُ الأسمآءُ**

---

[١] جاءَ رجلٌ إلى النبي ﷺ من أهل الكتاب فقال: يا أبا القاسم إن اللهَ يمسك السماواتِ على إصبع والأرضين على إصبع والشجر والثرى على إصبع والخلائق على إصبع ثم يقول: أنا الملك أنا الملك. فرأيت النبي ﷺ ضحِك حتى بدت نواجذُه، ثم قرأ : ﴿ وماقَدروا اللهَ حـق قدره ﴾ (الزمر: ٦٧). البخاري / ٧٢٤٩ .

[٢] الشورى : ١١

[٣] الفتح : ١٠

[٤] المائدة : ٦٤

[٥] نفس الآية السابقة .

[٦] القصص : ٨٨

[٧] النحل : ٧٤

الحسنى يسبح له ما في السماوات والأرض وهو العزيز الحكيم [١] ، فهل يقرأ أحد منا هذه الآيات و يتخذها حجة لتعدد الأقانيم و العياذ بالله ؟!.. فالله ﷻ واحد بذاته لا إله إلا هو سبحانه و تعالى عما يشركون . و لكي لا يقول أحد أن القرآن الكريم يعلم تعدد الأقانيم نقرأ قول الله تعالى : ﴿ **قل ادعوا الله أو ادعوا الرحمن أياً ما تدعوا فله الأسماء الحسنى ...** ﴾ [٢] ؛ أي أن الله ﷻ هو الرحمن و هو الرحيم و هو الملك و هو القدوس و هو السلام و هو المؤمن و هو المهيمن ... ، فله الأسماء الحسنى و لم يقل الأقانيم فهذا أمر يرفضه الإسلام و يتعارض مع تعاليم وحدانية الله ﷻ ، و يقول أيضا : ﴿ **ولله الأسماء الحسنى فادعوه بها وذروا الذين يلحدون في أسمائه سيجزون ما كانوا يعملون** ﴾ [٣] و طبعا علمنا الآن جيداً من هم الذين يلحدون في أسمائه !

o **التثليث كما ذكره القرآن الكريم :**

و يحاول المؤلف و غيره من النصارى بمكر أن يظهروا أن القرآن لم يعي جيدا مفهوم التثليث كما في عقيدتهم ! فنرى المؤلف يقول : (*التثليث الذي حاربه الإسلام هو تثليث التعدد و الإشراك ، و هو غير تثليث المسيحية الصحيحة المبنى على توحيد الذات و تثليث الأقانيم*) .

و لنقرأ سويا أيات القرآن الكريم التي ذكرت التثليث لنرى مبلغ ما يقوله من الصحة :

١. ﴿ **يأهل الكتاب لا تغلوا في دينكم ولا تقولوا على الله إلا الحق إنما المسيح عيسى ابن مريم رسول الله وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه فآمنوا بالله ورسله ولا تقولوا ثلاثة انتهوا خيراً لكم إنما الله إله واحد سبحانه أن يكون له ولد له ما في السماوات وما في الأرض وكفى بالله وكيلاً** ﴾ [٤] ، فقوله تبارك و تعالى (و لا تقولوا ثلاثة) فيه نهي عام سواء كانوا يقصدون أن الألهة ثلاثة : الله و عيسى و أمه ، أو الأقانيم ثلاثة : الله و عيسى و الروح القدس ، أو ما شابه فهو ليس ذو أصل إلهي بل بشري .

٢. ﴿ **لقد كفر الذين قالوا إن الله ثالث ثلاثة وما من إله إلا إله واحد وإن لم ينتهوا عما يقولون ليمسن الذين كفروا منهم عذاب أليم** ﴾ [٥] ، و فيها أيضا تنديد واضح بالتثليث و لو قالوا إن تثليثهم لا يعترف بثلاث ألهة ؛ و في ذلك يقول القرطبي في تفسير هذه الآية : (وهذا قول فرق النصارى من الملكية والنسطورية واليعقوبية[٦]؛ لأنهم يقولون آب وابن وروح القدس إله واحد ؛ ولا يقولون ثلاثة آلهة وهو معنى مذهبهم، وإنما

---

[١] الحشر : ٢١-٢٤
[٢] الإسراء : ١١٠
[٣] الأعراف : ١٨٠
[٤] النساء : ١٧١
[٥] المائدة : ٧٣
[٦] كان العلماء المسلمون قديما يسمون فرق النصارى الكاثوليك باسم (الملكية) لتبعيتهم للملك أو لإمبراطور روما ، و (الأرثوذكس) باسم اليعقوبية نسبة إلى يعقوب البراذعي و هو من قسسهم ، و النسطورية نسبة إلى نسطور مؤسس الطائفة – لمزيد راجع كتاب (قصص الأنبياء) للحافظ ابن كثير قصة عيسى بن مريم عليه السلام .

يمتنعون من العبارة وهي لازمة لهم. وما كان هكذا صح أن يحكى بالعبارة اللازمة ؛ وذلك أنهم يقولون: إن الابن إله والأب إله وروح القدس إله ... فأكفرهم الله بقولهم هذا، وقال (وما من إله إلا إله واحد) أي أن الإله لا يتعدد وهم يلزمهم القول بثلاثة آلهة كما تقدم ، وإن لم يصرحوا بذلك لفظا) ، و لنقرأ معا أيضا قول الحافظ ابن كثير في تفسيره لهذه الآية أيضا : (... والصحيح أنها نزلت في النصارى خاصة قاله مجاهد وغير واحد ثم اختلفوا في ذلك قيل المراد بذلك كفّارهم في قولهم بالأقانيم الثلاثة وهو أقنوم الأب وأقنوم الأبن وأقنوم الكلمة المنبثقة من الأب إلى الابن تعالى الله عن قولهم علوا كبيرا قال ابن جرير وغيره والطوائف الثلاثة من الملكية واليعقوبية والنسطورية تقول بهذه الأقانيم وهم مختلفون فيها اختلافا متباينا ليس هذا موضع بسطه وكل فرقة منهم تكفر الأخرى والحق أن الثلاثة كافرة ... ، قال الله تعالى (وما من إله إلا إله واحد) أي ليس متعددا بل هو وحده لا شريك له إله جميع الكائنات وسائر الموجودات ثم قال تعالى متوعدا لهم ومتهددا (وإن لم ينتهوا عما يقولون) أي من هذا الافتراء والكذب (ليمسن الذين كفروا منهم عذاب أليم) أي في الآخرة من الأغلال والنكال ..) .

و ما نراه أن العقيدة التي بعث بها الله تعالى أنبياءه هي التوحيد ؛ أي لا إله إلا الله وحده لا شريك له سبحانه و تعالى عما يشركون ، و رغم أن ذلك واضحا جليا في العهد القديم الذي يعتد النصارى بقدسيته ألا أن موضوع حديثنا هو استدلالهم بآيات القرآن الكريم الذي لا يخرج أبدا عن عقيدة التوحيد .

- **مفهوم بنوة الله في القرآن الكريم :**

و من شر المسميات التي اتخذها أهل الكتاب من قبل الإسلام هو مسمى (أبناء الله) ، و قد اشتهر هذا المسمى في العهد القديم كناية لبني إسرائيل ليدلوا به على قربهم من الله ﷻ ، ثم أطلقه النصارى فيما بعد على المسيح عيسى بن مريم ﵇ . و يحاول أيضا المؤلف - و غيره من النصارى - بمكر أن يطعن في فهم القرآن الكريم لهذا المسمى فيقول : (*إن البنوة التي حاربها القرآن بنوة تناسلية يسبق بها الوالد ولده ، أما بنوة المسيح فهي بنوة معنوية يقصر العقل عن إدراكها*) .

و لأننا نعرف شهرة اليهود و النصارى بالمكر و الحيادة عن الحق فقد صدق فيهم قول الله تعالى : ﴿ **وقالت اليهود عزيرٌ ابن اللّهِ وقالت النصارى الْمسِيح ابن اللّهِ ذَلِك قولُهم بِأفْواهِهِم يضاهِئُونَ قولَ الّذِين كفَروا مِن قبلُ قاتلَهم اللّه أنى يؤفكُونَ** ﴾ [١] فالنصارى في ذلك المسمى لا حجة لهم بل هو قولهم بأفواههم ، و هم يشابهون قول سابقيهم الذين كفروا و ضلوا عن سبيل الله ، فكيف يفعلون ذلك مع قيام الحجة عليهم ؟!

و إن كانوا حقا يقولون هي بنوة معنوية فقد قال الله ﷻ فيها : ﴿ **وقالتِ الْيهود والنصارى نحن أبناءُ اللّهِ وأحِباؤه قُلْ فَلِم يعذّبكُم بِذُنوبِكُم بلْ أنتم بشرٌ مِمن خلق يغفِر لِمن يشآءُ ويعذّب من يشآءُ ولِلّهِ ملْك السماواتِ**

[١] التوبة : ٣٠

والأرض وما بينهما وإليه المصير ﴾ [١] ، أي يامعشر اليهود و النصارى يا من تقولون إنكم أبناء الله و أحبائه ، هـل يقبل الأب العذاب لإبنه و حبيبه ؟! فذلك دليل على كذبكم ، وهذا هو المسمى عند الجدليين ببرهـان الخلـف ، أو تقولون : لا يعذبنا فتكذبوا ما في كتبكم، وما جاءت به رسلكم، وتبيحوا المعاصي وأنتم معترفون بعـذاب العـصاة منكم!! ، و أيضا : ﴿ **وقالوا اتخذ الرحمـن ولداً سبحانه بل عِبادٌ مكْرمون** ﴾ [٢] ، فمفهوم البنوة المعنوية مذكور في القرآن و مرفوض رفضا باتـّا أن ينسب ذلك لله تعالى فهو ﷻ له ما في السماوات و ما في الأرض ما اتخذ صاحبة و لا ولدا بل عباد مكرمون ، و يقول أيضا : ﴿ **تكاد السماوات يتفطّرنَ منه وتنشق الأرض وتخِر الجِبالُ هداً ۞ أن دعوا لِلرحمـن ولداً ۞ وما ينبغِي لِلرحمـن أن يتخِذَ ولداً ۞ إن كُلّ من فِي الـسماواتِ والأرضِ إلاّ آتِـي الرحمـن عبداً** ﴾ [٣] ، و هو أيضا نفي لمفهوم البنوة أيـّا كان .. بل هو القول الفصل ؛ فكل مـا في الـسماوات و الأرض من مخلوقات الله العزيز الجبار الأحد الصمد الذي لم يلد و لم يولد و لم يكن له كفوا أحد ، و أيـضا يقـول تبارك و تعالى : ﴿ **وينذِر الّذِين قالُوا اتخذَ اللّه ولداً ۞ ما لَهم بِهِ مِن عِلْمٍ ولا لِآبائِهم كبرت كَلِمةً تخرج مِـن أفْواهِهِم إن يقُولُونَ إلاّ كَذِباً** ﴾ [٤] و هو نفي صريح لمفهوم البنوة أيا كان مراده و معناه إن هي إلا كلمة كبيرة تخرج من أفواههم ، و ما هي حقا إلاكلمةكاذبة ما لها مبلغ من الصدق ! ، أيضا يقول الله ﷻ عن لسـان النبي ﷺ : ﴿ **قُلْ إن كانَ لِلرحمـن ولَدٌ فأنا أولُ العابِدِين** ﴾ [٥] ، و قد فسرها الحافظ ابن كثير فقال : (يقول تعالى قل يا محمـد إن كان للرحمن ولد فأنا أول العابدين أي لو فرض هذا لعبدته على ذلك لأني عبد من عبيده مطيع لجميع ما يـأمرني بـه ليس عندي استكبار ولا إباء عن عبادته فلو فرض هذا لكان هذا ولكن هذا ممتنع في حقه تعالى والشرط لا يلزم منـه الوقوع ولا الجواز أيضا كما قال ﷻ: (لو أراد الله أن يتخذ ولدا لاصطفى مما يخلق ما يشاء سبحانه هو الله الواحـد القهار) انتهى كلام ابن كثير .

هل بعد هذا يستطيع المؤلف أن يشكك في مفهوم القرآن لبنوة الله ؟!

و يزيد المؤلف في الضلال فيقول نقلا من كتاب المشرع للقس بولس سباط : (*لو تدبر المسلمون كلام القرآن بالروية لعلموا أننا على محجة الإيمان، فإن كثيراً من نصوصه يثبت معتقدنا بالتثليث الذي جاء عندنا منظوماً في سـلك البسملة ، وعندهم منثوراً في القرآن بين كلماته وضمن سوره وآياته.*) و في هذا طبعا إتهـام للمـسلمين عامتـهم و علمائهم و أئمتهم أنهم لا يفقهون كلام القرآن ، و من الذي يفهمه ؟.. أهم النصارى الذين لا يؤمنوا به ؟!.. و لم لا يتدبرون كلام القرآن إلا في المتشابه ابتغاء تأويله ؟!....

---

[١] المائدة : ١٨
[٢] الأنبياء : ٢٦
[٣] مريم : ٩١ - ٩٣
[٤] الكهف : ٤ - ٥
[٥] الزخرف : ٨١

حسنا !.. فلنتدبر معا كل آية أوردها المؤلف و لنرى إلى أين تذهب بنا :-

﴿ إِذْ قَالَتِ الْمَلآئِكَةُ يمريم إِنّ اللّه يبشرك بِكَلِمةٍ منه اسمه الْمسِيح عِيسى ابن مريم وجِيهـاً فِـي الـدنيا والآخِرةِ ومِن الْمقربين ﴾ [١] ، و يقول المؤلف : (*إن القرآن يسمي المسيح بكلمة الله و هي نفس التسمية له في الأقنوم الثاني في الثالوث الأقدس*) ، و يقول أيضا : (*ولقد سلك المفسرون في تفسير هذه الآية وأشباهها سلوكاً كله تكلف وإعنات، فهم يقولون إن الكلمة لم يكن من الله، بل كان بقوة كلمة الله كن. كما أنهم قد غُلبوا على أمرهم في إدراك معنى الروح واضطربوا في تفسيره اضطراباً يدعو إلى العجب... ولو صح هذا التفسير لأضحى المسيح موجوداً من العدم لا من الله، وحينئذ يكون القرآن قد ذكر لفظة منه عبثاً. كما يكون قد أخطأ حين أضاف الكلمة إلى الله ولقب المسيح بأنه روح منه في قوله إنما المسيح عيسى ابن مريم رسول الله وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه ، ونحن نجل القرآن عـن هذا، ونعتقد أنه لم يخطئ حين ذكر صدور الكلمة من الله، ولم يتعد الصواب حين وصف المسيح بأنه روح منـه ، ولم يذكر كلمة منه عبثاً. بل نعتقد أنه إنما ذكرها ليدل على أن مصدر الكلمة هو الله ذاته. وما كان من الله بغير طريـق الخلق والإبداع، كان هو الله ذاته لا محالة، لأن كل شيء في الله واحد*) .

و يبدو أن المؤلف لم يقرأ الآية التالية لها فهي ترد عليه : **﴿ قَالَت رب أَنى يكُونُ لِي ولَدٌ ولَم يمسسنِي بـشرٌ قَالَ كَذَلِك اللّه يخلُق ما يشآءُ إِذَا قَضى أَمراً فَإِنما يقُولُ لَه كُن فَيكُونُ ﴾** [٢] ، و أيضا : **﴿ ذَلِك عِيسى ابن مـريم قَولَ الْحق الَّذِي فِيهِ يمترونَ ۞ ما كَانَ لِلَّهِ أَن يتخِذَ مِن ولَدٍ سبحانه إِذَا قَضى أَمراً فَإِنما يقُولُ لَه كُن فَيكُونُ ﴾** [٣]

و الأمر صريح غير محتاج للشرح و رغم ذلك سنتناول بالدراسة كل كلمة قالها المؤلف في التعليق السابق : فإعتراضـه على خلق المسيح عليه السلام بكلمة التكوين من الله لا وجه له ، و قد ذهب هذا المذهب كل مفسري القـرآن المحـدثين و القدماء فلغويا لو صدرت الكلمة من الله نسبت له كما نقول ناقة الله و أرض الله و عباد الله و يد الله و مثل ذلـك ؛ فالعرب كانت تسمي المفعول بإسم المصدر أي تسمي الشيء باسم الشيء إذا كان صادرا عنه ، أما تفسير النـصارى فهو طبقا للتفسير الفلسفي اليوناني القائل بأن الكلمة (اللوجوس Logos) هي عقل الإله النـاطق الـضابط لحركـة الموجودات[٤] ، و يتجلى هذا المفهوم في قول المؤلف : (*إذا كان القرآن يقر بإن المسيح هو كلمة الله فلا فرق بين الله و كلمته كما إنه لا فرق بين الإنسان و كلمته*) ، فإذا قرأنا هذا القول في ضوء التفسير العربي لمعنى الكلمة المنـسوبة لله

---

[١] آل عمران : ٤٥

[٢] آل عمران : ٤٧

[٣] مريم : ٣٤ - ٣٥

[٤] في عقيدة النصارى الحالية العديد و العديد من المفاهيم التي مردها إلى الفلسفة اليونانية ، و التي ازدهرت في الأماكن التي انتشرت فيها النصرانية في باديء أمرها كأسيا الصغرى و جنوب شرق أوروبا ، و كانت الثقافة الأولى للكثير و الكثير من معتنقي النصرانية الأوائل ، و يرجع الباحثين مقدمة إنجيل يوحنا إلى أصل فلسفي في كتابات الفيلسوف فيلون السكندري كما يقول الأستاذ **عباس محمود العقـاد** في كتابه (**عبقرية المسيح**) . كذلك بولس و الذي صاغ العديد و العديد من رسائل العهد الجديد قد نشأ في بلـدة طرسـوس الـتي ازدهرت فيها الثقافة اليونانية . راجع إن شئت الإستزادة كتابنا : (بولس و أثره في النصرانية) .

ﷻ فتكون الجملة غير مستقيمة المعنى ، أما لو قرأناها في ضوء التفسير اليوناني القائل باللوجوس فيتضح لنا أن المؤلف و غيره من النصارى لا يتكلمون لغة القرآن و بالتالي فهم يفسروه على غير معانيه و يستشِفّون منه غير مراد الله و هـذا ضرب من التحريف و سواءا كان عن قصد أو بدون فإننا نوضح لهم إن تفسير معنى كلمات القرآن يرد لأصله العربي دون غيره ؛ فقد نزل القرآن بلسان عربي مبين لا تشوبه عجمة و لا تشيمه ركاكة لا بالألفاظ و لا بالمعاني .

و يحاول المؤلف أن يشغل عقل القاريء عن الصواب بالتفكير في قضية أخرى فيقول : (*وقد كفانـا القـرآن مؤونة التدليل على صحة هذا الرأي بقوله: (بكلمة منه اسمه ..) فهو لم يقل (اسمها) ، مع أن الكلمة مؤنث، دلالـة على أن هذه الكلمة ليس لفظاً، بل شخصاً قائماً بذاته، إذ لو كان المقصود من الكلمة اللفظ لعاد الضمير عليه مؤنثـاً، أما وقد عاد الضمير عليه مذكراً، فهذا دليل على أن المقصود ليس اللفظ، بل مسمى اسمه المسيح عيسى ابن مريم .*) ، و سنرد عليه لغويا أيضا لا فلسفيا : فالكلمة المؤنثة قد اتخذت من صفات موصوفها الذكورة لذا فالتعبير يستقيم لو جاء في صيغة المذكر لا المؤنث ؛ فحديث الملائكة لمريم رضوان الله عليها كان عن بشرى من الله ﷻ بشخص اسمه المـسيح عيسى بن مريم عليه السلام و قد جاء بكلمةٍ من الله و هو أمرا إلهيا لا مجرد لفظا كما يقول ، فالحديث كان عن الـشخص بصيغة المذكر لا الكلمة التي هي لقبه ، و لذلك قال : (اسمه ..) لأن المقصود هو الشخص .

أما الدليل الدامغ على أن تلك الكلمة كانت أمرا إلهيا لا لفـظا نستدل عليه بآية من كتاب الله ﷻ ألا و هي : **﴿ إِنّ مثلَ عِيسى عِند اللّهِ كمثَل آدم خلقه مِن ترابٍ ثم قَالَ له كُن فيكُونُ ﴾** [1] ، فيشبه الحق تبارك و تعالى – و له المثل الأعلى - خلق عيسى عليه السلام من غير أب بخلق أدم عليه السلام و الذي جاء بلا أب و لا أم وهو من تـشبيه الغريـب بالأغرب ليكون أقطع للخصم وأوقـع في النفس[2] ، و فيم كـان الشبه بينهما ؟.. في إنهما خلقا بـأمر الـتكوين الإلهي : (كُن !) فكانا خلقا بإذن الله . و لا يعترض على هذا الرأي أحد من أهل التفسير ، و لكن المؤلف يعترض و يقول : (*... فلنا هنا أن نسأل الرازي، ومن رأى رأيه: لِمَ لمْ تستعمل هنا المبالغة لآدم؟ ولماذا لم يقل القرآن عن آدم إنه كلمة الله، أو كلمة من الله، كما قال عن المسيح؟ إن وجه التماثل في هذه الآية، بين آدم والمسيح، هو أن ظهـور كلمة الله إلى العالم كان متعلقاً بإرادة الله، كخلق آدم. إذ كما أحب الله وأراد فخلق آدم من تراب، بلا أب، وبلا أم، شاءت محبته أن يكون كلمته الأزلي إنساناً اسمه المسيح عيسى ابن مريم، دون أن يكون له أب بشري*) ... و لا تعليق لنا سوى أنه لو كان المسيح جزء من ربه – معاذ الله - كما يقول المؤلف و غيره من النصارى لأنتفت المثلية الصريحة بينه و بين أدم عليه السلام في الآية الكريمة السابقة و هذا ما لا نفهمه منها .

و عن المثلية بين عيسى عليه السلام و أدم عليه السلام كما جاء في القرآن الكريم نقرأ : **﴿ فَإِذَا سويته ونفَخت فِيـهِ مِـن روحِي فقعوا له ساجِدِين ﴾** [3] ذلك عن أدم عليه السلام ، فماذا عن عيسى ؟ : **﴿ ومريم ابنةَ عِمرانَ الّتِي أحصنت فَرجها**

---

[1] آل عمران : ٥٩
[2] تفسير الجلالين – الآية السابقة
[3] الحجر : ٢٩ ، ص : ٧٢

فنفخنا فيه من روحنا ... ﴾ [١] و طبعا المثلية هنا واضحة فكلاهما عليهما صلوات الله و سلامه نفخ الله فيهما من روحه ، أي من الروح التي كان ﷻ خالقها فيهما . و نسبة الشيء إلى مصدره معلوم لغويا .

أيضا مفهوم (كلمة الله) في القرآن الكريم يتضح جليا إذا قرأناه في الآيات التالية :-

١. ﴿ **ولولا كلمةٌ سبقت من ربك لكان لزاماً وأجلٌ مسمى** ﴾ [٢] ، و طبعا واضح من السياق أن (كلمة الله) هي إرادة الله ﷻ بالعذاب على الكافرين[٣] و ليس مقصود بها شيئا أخر .

٢. ﴿ **ولقد آتينا موسى الكتاب فاختلف فيه ولولا كلمةٌ سبقت من ربك لقضي بينهم وإنهم لفي شك منه مريب** ﴾ [٤] ، أي و لولا إرادة الله .

٣. ﴿ **وكذلك حقت كلمةُ ربك على الذين كفروا أنهم أصحاب النار** ﴾ [٥]، أي كانت إرادة الله .

٤. ﴿ **وما تفرقوا إلا من بعد ما جاءهم العلم بغياً بينهم ولولا كلمةٌ سبقت من ربك إلى أجلٍ مسمى لقضي بينهم وإن الذين أورثوا الكتاب من بعدهم لفي شك منه مريب** ﴾ [٦] ، ..... و أظن هذا يكفي !

و كما نرى إن المعنى واضحا جليا سواءا في معنى (كلمة الله) أو في خلق أدم عليه السلام و لكن المؤلف و غيره من النصارى لا يريد أن يقبل بذلك فيقول : (وقد ذهب بعض المفسرين هذا المذهب، فقالوا إنه يراد بالكلمة شخص قائم بذاته، ولكنهم فسروا ذلك تفاسير لا تناسب هذا القول، ولا تتفق وصريح القرآن، ولذلك ضربنا عنها صفحاً.) ، و بعد ذلك الشرح لا نقول له إلا قول الله ﷻ : ﴿ **أفرأيت من اتخذ إلـهه هواه وأضله الله على علمٍ وختم على سمعه وقلبه وجعل على بصره غشاوةً فمن يهديه من بعد الله أفلا تذكرون** ﴾ [٧] .

o زواج المسلم من الكتابيات :

و لا يزال المؤلف يسوق بعض المفاهيم مما سبق و أوضحنا من قبل خطأها ، إلى ان يصل بنا إلى مفهوم زواج المسلم من النصرانية و قال فيه : *(أن الإسلام حرم على المسلمين أن يتزوجوا بالمشركات، دون أن يتخذن الإسلام لهن ديناً. في حين أنه ساوى بين المسيحية والمسلمة في هذا، أباح للمسلم أن يتزوج من المسيحية دون أن يشترط الإسلام لتمام هذا الزواج وصحته، فقال: أحل لكم الطيبات وطعام الذين أوتوا الكتاب حل لكم وطعامكم حل لهم والمحصنات من المؤمنات والمحصنات من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم إذا آتيتموهن أجورهن محصنين غير*

---

[١] التحريم : ١٢
[٢] طه : ١٢٩
[٣] راجع : تفسير الجلالين و تفسير القرطبي للآية السابقة .
[٤] هود : ١١٠
[٥] غافر : ٦
[٦] الشورى : ١٤
[٧] الجاثية : ٢٣

مسافِحِين ولَا متخِذِي أخدانٍ (سورة المائدة ٥: ٥) فهذه الآية أجازت للمسلم التزوج من النصرانية، مع الحرص على حقها أن لا يهضم ، جاعلاً إياها في مرتبة المرأة المسلمة. فلو كان الإسلام اعتبر المسيحية مشركة لحظر الـزواج بهـا، ولحرمه تحريماً، أو على الأقل لجعل الإسلام شرطاً ضرورياً لتمام هذا الزواج، كما فعل مع المشركات الـلاتي قـال في حقهن: ولَا تنكِحوا الْمشرِكَاتِ حتى يؤمِن (سورة البقرة ٢: ٢٢١) فهذه الآية قد حرمت على المسلم الـزواج مـن المشركة وهي باقية على شركها، وأجازه له بعد إسلامها.) .

و لو كان الأمر كما يقول المؤلف لصرح الإسلام بزواج المسلمة من الكتابي ، و لكن الإسلام ينظر للذرية التي ستنتج عن هذه الزيجة و المعروف أن الولد لأبيه ديانةً و جنسية ، فالكتابية التي ستتزوج مسلما ستربي أولاده المسلمين كما يرى و تحت إشرافه ، و قد أمر الإسلام بحسن معاملتها لعلها ترى من السماح ما يجعلها تدخل في الإسـلام دون إكراه فيربح زوجها عند الله ربحا كبيرا ، أما المسلمة التي ستتزوج كتابيا أفهل ستربي أولاده على غير دينها ؟.. لا يقبل الإسلام هذا . و أما عن مقارنة المشركين بالله و عبدة الأوثان بأهل الكتاب فطبعا ترجح كفة أهل الكتـاب الـذين يعبدون الله و إن كانوا مشركين به في عقيدتهم الضالة ، و لكن القرآن قد فرق بين المشركين في المعاملـة ؛ فالـذين ظلموا منهم لهم القتال و الرصد و سوء المعاملة أما من سالَموا المسلمين فيقول فيهم الحق تبارك و تعالى : ﴿ **لَّا ينهاكُم اللَّه عن الَّذِين لَم يقَاتِلُوكُم فِي الدين ولَم يخرِجوكُم من دِيارِكُم أَن تبروهم وتقْسِطُوا إِلَـيهِم إِنّ اللَّـه يحِـب الْمقْسِطِين ۞ إِنما ينهاكُم اللَّه عن الَّذِين قَاتلُوكُم فِي الدين وأَخرجوكُم من دِيارِكُم وظَاهروا علَى إِخراجِكُم أَن تولَّوهم ومن يتولَّهم فَأُولَـئِك هم الظَّالِمون** ﴾ [1] فهذا تفريق واضح في المعاملة مع المشركين ، أيضا عنـدما سـئل الرسول ﷺ عن عمه أبي طالب بن عبد المطلب قال : « **هو في ضحضاح من نار ..** » [2] ، و لم يعذب كباقي المشركين لنصرته له ﷺ طيلة حياته و في هذا تفرقة في المعاملة بين المشركين تبعا لوداعتهم و سِلمهم مع المسلمين . حتى في مجادلة أهل الكتاب فقد نهى الإسلام عن ذلك إلا الذين ظلموا منهم و في هذا أيضا صورة من صور التفرقـة في المعاملـة . جدير بالذكر أن معظم الأئمة لا ينظرون لزواج المسلم من الكتابيات بعين الرضا [3] إلا في أمور معينة قد تضطره فيهـا الحاجة الشديدة ، فلا يفهم من ذلك تنزيها لعقيدة النصارى و لكن يفهم سماحة الإسلام مع المسالمين من أهل الأديـان الأخرى و ذلك في معاملات دنيوية لا دينية . و بذا ، و بعد ما سبق عرضه من أيات بينات محكمات فإننا لا نوافـق المؤلف في أن الإسلام قد اعتقد في النصرانية صحة الإيمان بالله ﷻ ، بل هو إيمان مغلوط فيه الكثير من الـضلال ، و

---

[1] الممتحنة : ٨ - ٩

[2] عن عباس بن عبد المطلب قال: «يارسول الله، هل نفعت أبا طالبٍ بشيء ؟ فإنه كان يحوطك ويغضب لك. قال: « **نعم، هـو في ضحضاح من نار، ولولاي لكان في الدرك الأسفل من النار**». صحيح البخاري/ ٦٠٦٥ كتاب الأدب – باب كنـية المـشرك ، و الضحضاح مـا هو قلـيل لا عمق فيه (المعجم الوجيز)

[3] عن نافعٍ أن ابن عمر كان إذا سئل عن نِكاحِ النصرانيةِ واليهوديةِ، قال: إن الله حرم المشركات على المؤمنين، ولا أعلم من الإشـراك شيئاً أكبر من أن تقولَ المرأةُ ربها عيسى، وهو عبد من عبادِ الله. البخاري / ٥١٦٤

حسن معاملة النصارى يدل على سماحة الإسلام لا على مصادقته على صحة معتقداتهم فكلامه كلام متناقض غير معقول .

و قبل أن نتحول لموضوع أخر نسأل المؤلف و أمثاله من النصارى : ماذا سيكون موقفهم لو تقدم أحد المسلمين للزواج من احدى بناتهم أو اخواتهم ؟.. حتى لو تعهد أمامهم على المحافظة على حقها في حرية العقيدة فهل سيكون جوابهم بالقبول ؟!..

يا معشر النصارى !.. لا تناقضوا انفسكم !!...

o ﴿ وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرّوحِ .. ﴾ :

و يعترض المؤلف عن عدم إيضاح القرآن الكريم لمعنى (الروح) فيقول : (*... فالقرآن لا يوضح لنا ماهيته ، ولا يفسر لنا معناه ولا يبين من يكون هو، ولا ماذا يراد به، مع أن القرآن ذكر كلمة روح في نحو عشرين آية. وكلما وصل المفسرون إليها ارتبكوا وتحيروا وغُلبوا على أمرهم.*)

و يخلط المؤلف خلطا أعمى بين مفهوم (الروح) و (الروح القدس) مع أن القرآن قد وضح الفرق بينهما و اتفق المفسرون على هذا إلى حد الإجماع فيقولون :-

١- الطبرى جزء ١ صفحة ٢١٩ و ما بعدها : قيل الروح القدس هو جبريل عليه السلام (و ذكر من قال ذلك) و قال اخرون الروح القدس الانجيل مثل قوله تعالى عن القران فى سورة الشورى "و كذلك اوحينا اليك روحا من امرنا " (و ذكر من قال ذلك) لان جميع كتب الله التى اوحاها رسله روحا منه لانها تحيا بها القلوب. و يرجح ان المراد جبريل عليه السلام .

٢- القرطبى الجزء ٢ صفحة ٢٣ : الروح القدس هو جبريل عليه السلام او الاسم الذى كان عيسى عليه السلام يحيى به الموتى ، و هو اسم الله الاعظم و قيل المراد الانجيل و يرجح ان المراد جبريل عليه السلام .

٣- الحافظ ابن كثير الجزء ١ صفحة ١٢٢ : قيل الاسم الاعظم الذى كان يحيى به الموتى ثم ذكر اقوال القرطبى السابقة و ذكر ترجيحه لان المراد بها جبريل عليه السلام . ثم ذكر اقوال الطبرى كما سبق .

٤- تفسير الجلالين صفحة ١٧ : الروح القدس من اضافة الموصوف الى الصفة اى الروح المقدسة جبريل لطهارته يسير معه حيث سار .

٥- الشوكانى الجزء ١ صفحة ١١٠ : الروح القدس قيل هو جبريل عليه السلام ايد الله به عيسى عليه السلام و انشد حسان ابن ثابت فقال :-

وجبريل أمين الله فينا *** و روح القدس ليس به خفاء

ثم يكرر اقوال الطبرى و القرطبى السابقة .

٦- الالوسى جزء ١ صفحة ٣١٦ : أيدناه بالروح القدس اى قويناه بجبريل و هذا شائع فقد قال الله سبحانه و تعالى "قل نزله روح القدس " سورة النحل ١٠٢ و قال ﷺ لحسان ابن ثابت "اهجهم يا حسان و روح القدس معك " و قال له فى موقف اخر " و جبريل معك "

٧- الزمخشرى الجزء الثالث صفحة ١٧٥ : اختلفوا فى الروح على وجوه قيل جبريل اى الروح المقدسة جبريل او لانه يحيي به الدين كما يحيا البدن بالروح و قيل المراد بالروح الانجيل كما سبق و ترجيح ان المراد جبريل ايضا .

٨- الطبرسى جزء ١ صفحة ٣٤٦ و <u>هو تفسير شيعى</u> : يقول نفس الكلام ان المراد جبريل و يذكر ثلاثة اسباب لتسميته بالروح القدس نفس ما ذكر سابقا و يضيف الطبرسى " اقوى الاقوال قول من قال هو جبريل و اذا قيل لم خص عيسى عليه السلام من بين الانبياء بانه مؤيد بجبريل و كل نبى مؤيد فالقول فيه انه انما خص بذلك لثبوت اختصاصه به من صغره الى كبره فكان يسير معه حيث سار و لما هم اليهود بقتله لم يفارقه حتى صعد به الى السماء .

٩- البيضاوى جزء ١ صفحة ١٦٨ : اراد بالروح القدس جبريل و قيل الانجيل او اسم الله الاعظم .... و تكرار لما سبق .

١٠- الخازن جزء ١ صفحة ٨٠ : قيل المراد الروح الذى نفخ فيه و اضاف روح عيسى تشريفا و تكريما و تخصيصا كما تقول يد الله و ناقة الله و قيل الاسم الاعظم الذى كان يحيى به الموتى و قيل هو جبريل و الباقى تكرار .

١١- ابو حيان الاندلسى الجزء الاول صفحة ٢٩٨ : هو اسم الله الاعظم الذى كان يحيى به عيسى عليه السلام الموتى او الانجيل كما سمى القران روحا او الروح التى نفخها الله تعالى فى عيسى عليه السلام او جبريل و يذكر الاقوال السابقة كلها .

١٢- و هذه مجموعة اخرى من تفاسير المحدثين لا تخرج عن ما سبق نذكرها على عجالة للاختصار :
القاسمى جزء ٢ صفحة ١٨٥ ، الإمام محمد عبده جزء اول صفحة ٣٧٦ ، تفسير الجوهرى جزء ١ صفحة ٩٦ ، المراغى جزء اول صفحة ١٦٣ ، سيد قطب جزء ١ صفحة ٨٨ .

فلو ظن بعض المفسرين أن المراد بروح القدس هو الإنجيل أو هو الإسم الأعظم الذي كان عيسى عليه السلام يحيي به الأموات ، فقد رجح كلهم أن المراد به هو جبريل عليه السلام.

أما عن (الروح) فيرجع القرآن أمرها إلى الله تعالى فلا يصح أن يسأل عنها بلفظ القرآن : ﴿ **ويسألونك عن الروح قُل الروح مِن أمر ربي ومآ أوتيتم من العِلمِ إلاّ قَليلاً** ﴾ [1] أي هو علم لا يعلمه أحد من خلْقِه إلا هو جل جلاله ، و من هذا العلم القليل الذي لدينا نقول إن الروح هي سبب الحياة فإذا نزعت من الجسد ذهبت عنه الحياة ، و قد نفخها الله عز وجل في أدم عليه السلام فصار خلقا بإذن الله و كذلك عيسى بن مريم عليه السلام ، و قد جاء نفر من يهود المدينة يسألون النبي ﷺ عن الروح كيف نشأ ؟ و كيف يعذّب ؟ أدون الجسد أم به ؟ ، فنزلت الآية الكريمة ردا عليهم . فـ الروح التي

[1] الإسراء : ٨٥

ذكرها الله ﷻ في القرآن الكريم بمعنى القرآن أو الوحي أو جبريل ﷷ أو خلاف ذلك غير الروح التي يسأل عنها النبي ﷺ و إذا قرأنا الآية كاملة في سياقها لفهمنا مراد الله ﷻ منها .

o **الخلاصة :**

١. لا يقول القرآن الكريم أبدا بتعدد الأقانيم الذي يؤمن به النصارى ، فإن ذلك يتنافى تماما مع مفهوم الوحدانية التي لم يعلمها القرآن فحسب بل كانت محور الشرائع السابقة و مثار حديث كل الأنبياء السابقين مع قومهم .

٢. اختلاف النصارى مع المسلمين في تفسير معنى (كلمة الله) يرجع إلى تفسيرهم لها بالمفهوم اليوناني القائل باللوجوس لا بالمعنى العربي للكلمة ، و يجب علينا لكي نفهم معاني القرآن الكريم أن نرد كل آية بل كل كلمة منه لمعناها العربي و لا نلتمس ذلك في ألسنة العجم فما نزل القرآن بلغتهم و لا مصدقا لما يقولون بل نزل بلسان عربي مبين .

٣. لا يصادق الإسلام النصارى في مفهوم بنوة المسيح ﷷ لله ﷻ بل ينفي ذلك بشدة حتى لو قالوا إنها معنوية لا تناسلية ، فيعلمنا القرآن الكريم أن خالق السماوات و الأرض لا ينبغي أن يتخذ ولدا بل عباد مكرمون .

٤. أما بالنسبة لموضوع زواج المسلم من الكتابيات فيفهم منه سماحة الإسلام مع المسالمين من أهل الأديان الأخرى لا مصادقة الإسلام لصحة عقيدتهم مع تحفظ بعض الأئمة الشديد عليه .

٥. أما ما ذكره القرآن عن (الروح القدس) فالمقصود به هو جبريل ﷷ و الذي كان ينزل بالوحي على الأنبياء مبلغا كلمة ربهم و معضدا إياهم في وجه أعدائهم ، و ما ذكره عن (الروح) فحسب فمرده عند الله تعالى إن شاء علمها أحد من عباده أو ذكرها في كتاب من كتبه أو اختص بها في عالم الغيب عنده ، و سبحانه و تعالى الذي لا يسأل عما يفعل و هم يسألون .

المبحث الرابع :

القرآن الكريم والمسيح عليه السلام

***

بسم الله الرحمن الرحيم

إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَ ۖ خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٥٩﴾

قرآن كريم - سورة آل عمران

إن معظم النصارى هذه الأيام لا يدركون أن الروح الطيبة التي يبديها الإسلام تجاه نبي الله عيسى عليه السلام و أمه الصديقة مريم رضوان الله عليها إنما ترجع إلى منبع إيمان المسلم : ألا و هو القرآن الكريم ؛ فلا يذكر اسم المسيح أبدا إلا مشفوعا بقول : عليه السلام و الذي لا يذكر ذلك لم يكتمل إيمانه بعد[1] ، و ذلك طبقا للآية القرآنية : ﴿ **آمن الرسولُ بِما أنزِلَ إليهِ مِن ربهِ والمؤمِنونَ كُلٌ آمن بِاللّهِ وملآئكتِهِ وكُتبِهِ ورسلِهِ لا نفَرق بين أحدٍ من رسلِهِ وقالُواْ سمِعنا وأطَعنا غُفْرانك ربنا وإليك المصِير** ﴾[2] .

و قد ذُكر اسم عيسى عليه السلام في القرآن الكريم خمسة و عشرون مرة ، و وصف بصفات عديدة هو أهل لها انبثت من ثنايا خمسة عشر سورة من كتاب الله منها (**كلمة** الله) ، و (**عبد** الله) ، و (**آية** الله) ، و (**رسول** الله) ، و لا يوجد مذمة واحدة في القرآن الكريم يمكن أن يتخذها أحد الحاقدين لتكون استثناءا لهذه القاعدة ، كذلك في السنة الشريفة ؛ فعن أبي هريرة قال: قال رسولُ اللهِ ﷺ: «**أنا أولى الناس بعيسى ابن مريم في الدنيا والآخرة، والأنبياء إخوة لعلاّتٍ أمهاتهم شتى ودِينهم واحد**».[3]

- **هل يصدق القرآن على ألوهية عيسى عليه السلام :**

يقول المؤلف في الفصل الأول من الباب الرابع من كتابه : (*...وإذاً فالقرآن قد أقر لنا بلاهوت المسيح بدعوته إياه كلمة الله . ومن الأمور البديهية أن يكون في الولد شيء من طبيعة أمه وأبيه، وبما أن المسيح هو كلمة الله ، وله جوهر الله تعالى، وقد حل في العذراء مريم ، فهو إذاً يشاركها في إنسانيتها وطبيعتها البشرية ومن ثم الحق القرآن بالمسيح ما هو خاص بذات الله، وما هو خاص بالإنسان.*)

و يقول أيضا : (*وبما أن الإسلام لقب المسيح بأنه كلمة الله وروح منه، فليس أمامنا إلا الاعتراف بأن المسيح هو الله سبحانه وتعالى. وهذا هو المعنى المعقول المقبول الذي لا يمكن استنباط غيره من قول القرآن ان المسيح روح منه فهذا تعبير يبرهن أن الكلمة الذي ألقاه الله إلى مريم هو إله حق من ذات الله وجوهره، إذ لا يمكن أن يكون المسيح من روح الله إلا إذا كان من جوهره. فهو إذاً إله حق من إله حق، مولود غير مخلوق.*)

و أيضا يتساءل : (*أي تناقض بين بنوة المسيح لله وبين إرساليته إلى العالم ؟ ولماذا تعتبر رسالته ناقضة لحقيقة لاهوته ؟ أفلا يرسل الأب ابنه مندوباً عنه لإتمام مأمورية عظمى لا يستأمن عليها خدمه ووكلاءه؟ أوليس هذا بعينه ما تم في المسيح ؟*)

---

[1] عن النبي ﷺ قال : «**من شهد أن لا إله إلا اللهُ وحده لا شريك له، وأن محمداً عبده ورسوله، وأن عيسى عبد اللهِ ورسوله وكلمته ألقاها إلى مريم وروحٌ منه، والجنةُ حق والنار حق، أدخله اللهُ الجنةَ على ما كانَ من العمل**». البخاري / ٣٣٦٣ .

[2] البقرة : ٢٨٥

[3] بخاري/٣٣٧٠ – و اخوة العلات هم اولاد الرجل الواحد من نسوة شتى .

و الآن و بعد ما سبق تبيانه في الفصل السابق من دحض لتلك الشبهات الوهمية و ذلك بالعقل و النقل و من صريح نصوص القرآن الكريم لم يعد أمامنا إلا أن نتناول بالدراسة معاً نصوص القرآن الكريم الصريحة التي تدحض مفهوم ألوهية عيسى عليه السلام كما يزعمون و تؤكد على حقيقته كنبي و رسول من الله تعالى و عبده الذي ما قال أبدا بشيء مما يدعون ، تلك الآيات الكريمة التي قد لا يتعرض لها المؤلف و لا غيره من النصارى نظرا لصراحتها في مناقشة تلك الموضوع ، و بالرغم أن مجرد ذكرها كافٍ للرد عليه و أمثاله ، لكنا سنستطرد في الشرح و إيراد أراء كبار العلماء للإستئناس :-

١. ﴿ يأهلَ الكِتابِ لا تغلوا فِي دِينكم ولا تقولوا على اللّهِ إلاّ الحق إنما المسِيح عِيسى ابن مريم رسولُ اللّهِ وكلِمته ألقاها إلى مريم وروحٌ منه فآمنوا بِاللّهِ ورسلِهِ ولا تقولوا ثلاثةٌ انتهوا خيراً لّكم إنما اللّه إلهٌ واحِدٌ سبحانه أن يكونَ له ولدٌ لّه ما فِي السماوات وما فِي الأرض وكفى بِاللّهِ وكِيلاً ۝ لّن يستنكِف المسِيح أن يكونَ عبداً للّهِ ولا الملآئكةُ المقربونَ ومن يستنكِف عن عِبادتِهِ ويستكبِر فسيحشرهم إليهِ جميعاً ۝ فأما الّذِين آمنوا وعمِلوا الصالِحاتِ فيوفّيهم أجورهم ويزيدهم من فضلِهِ وأما الّذِين استنكفوا واستكبروا فيعذّبهم عذاباً أليماً ولا يجِدونَ لهم من دون اللّهِ ولياً ولا نصيراً ﴾ [١] ، فها هو القرآن يخاطب أهل الكتاب بعبارات صريحة ليس بها تشابه و يقول إن المسيح عيسى بن مريم عليه السلام الذي زعمتم أنه إله لن يستنكف و يتأنف و يتكبر أن يكون عبدا لله جل جلاله لا ولده ؛ وهذا من أحسن الاستطراد ذكر للرد على الزاعمين ذلك المقصود خطابهم ومن يستنكف و يتكبر عن عبادته بقبول هذه الحقيقة فسيحشرهم إليه جميعا في الآخرة أما الذين أمنوا – و المقصود طبعا من آمنوا بدعوة عيسى عليه السلام ثم أمنوا بمحمد ﷺ - منهم فلهم أجرهم عند ربهم و لا هم يحزنون . و يعلق المؤلف تعليقا طريفا على قول الله تعالى : ﴿ .. وكلِمته ألقاها إلى مريم .. ﴾ فيقول : (*و الإلقاء عندنا معناه التجسد*) ، و نرد عليه و نقول : إن القرآن عربي مبين لا أعجمي ، و (ألقاها) هنا في سياق الآية معناه (أوصلها) و هو تعبيرا مجازيا يعبر عن علو مكانة الله عز وجل عن البشر ، فيأيها المؤلف الكريم و يا معشر النصارى الكرام أستحلفكم بالله العظيم ألاّ تفهموا كلام القرآن إلا في ضوء لغته العربية لا في ضوء فلسفتكم و لاهوتكم حتى تفهموا معانيه بصورة مستقيمة سليمة ليس بها أي التواء .

٢. ﴿ وإذْ قالَ اللّه يعِيسى ابن مريم أأنت قلت لِلناس اتخِذوني وأمي إلهين مِن دون اللّهِ قالَ سبحانك ما يكونُ لِي أنْ أقولَ ما ليس لِي بِحق إن كنت قلته فقد عِلمته تعلم ما فِي نفسِي ولا أعلم ما فِي نفْسِك إنك أنت علاّم الغيوب ۝ ما قلت لهم إلاّ ما آ أمرتنِي بِهِ أن اعبدوا اللّه ربي وربكم وكنت عليهم شهيداً ما دمت فِيهم فلما توفّيتني كنت أنت الرقيب عليهم وأنت على كلّ شيءٍ شهيدٌ ۝ إن تعذّبهم فإنهم

[١] النساء : ١٧١ - ١٧٣

عِبادك وإن تغفِر لهم فإنك أنت العزيز الحكِيم ﴾ [١] ، و تصور الآية السابقة ما سيحدث يـوم الـدين ؛ إذ يسأل المولى ﷻ نبيه عيسى ﵇ - و هو أعلم بما سيقول – على مشهد من الناس أن هل صرح لأتباعه بأن يعبدوه و أمه من دون الله فينفي ذلك و بشدة أن ليس له الحق أن يقول لهم إلا ما أمره الله به و أرسله لهم من أجله ، فلو كان قال غير ذلك سيكون المولى ﷻ أول العالِمين ، فما بلّغهم إلا رسالته و رسالة كل الأنبياء من قبله ألا يعبدوا إلا الله مخلصين له الدين ، و كان عليهم شهيدا قويما يصحح أخطاءهم ما كان فـيهم ، فلمـا انتهت مهمته و رفعه ربه إليه كان تفرقهم و اختلافهم و تكفيرهم بعضهم بعضا بعلم الله و طبقا لحكمته جل و علا ، و يختم كلمته ﵇ بتضرع إلى الله تعالى أن يرأف بهم ؛ فإن عذب من أقام على الكفر منهم فـإنهم عباده وهو مالكهم يتصرف فيهم كيف يشاء لا اعتراض عليه وإن يغفر لمن آمن منهم فإنه هو العزيز على أمره الحكيم في صنعه . و طبعا من الواضح الجلي في الأيات السابقة نفي تام لألوهية المسيح ﵇ بصريح القرآن ، و يقول المؤلف : *(والحق أن المسيحية لم تعتقد يوماً ما بتأليه العذراء أو باعتبارها ركناً من أركـان الثـالوث الأقدس في الإله الواحد ... فهي لا تعلّم بالمسيح إلهاً من دون الله، ولكنها تعلم أن المسيح والآب واحد بـلا تعدد ولا افتراق)* ، و أيضا : *(ويظهر أن حملات الإسلام على هذا التعليم كانت موجهة ضد بدعة كانت قد ظهرت ونادت بتأليه العذراء القديسة مريم . وهذه البدعة لم يتجند لحربها الإسلام وحده، بل لقـد حاربتـها المسيحية حرباً لا هوادة فيها حتى قضت عليها. فالإسلام في حملاته هذه إنما كان متجنداً مع المسيحية جنبـاً لجنب لمحاربة بدعة أبغضتها الكنيسة وقاومتها)* ، و نرد عليه و نقول : إن المؤلف و غيره مـن النـصارى لا يفهمون المعنى الجلي لمفهوم الشرك بالله ﷻ ؛ فإن المغالاة في تقديس شخص المسيح ﵇ و أمه و كذا تقديس القساوسة و الرهبان و تحليلهم و تحريمهم الأمور لتابعيهم و إضافتهم في الدين ما ليس فيه ، فإن هذا هو عـين الشرك بالله كما شرحه النبي ﷺ لعدي بن حاتم[٢] ؛ فتقديس طوائف النصارى المختلفة للعذراء مـريم عليهـا رضوان ربها و سلامه كتصويرهم إياها في أيقونات و تمـاثيل تملأ الكنائس و وقوفهم أمامها في خـشوع و مناجاتها بالأدعية و الصلوات و طلب شفاعتها و وساطتها لدى الله لهو الشرك الذي تكلمت عنـه الأيـات الكريمة ، و نفس المفهوم بالنسبة لصور المسيح المختلفة و تماثيله التي تملأ الكنـائس و بيـوت النـصارى ، و تصويره مجسما على الصليب و عبادتهم تلك الصور لهو شرك بالله و الله المستعان ، ما كتب عليهم و لا نادى به أنبيائهم[٣] و ما كان عليه سابقيهم من أهل الكتاب ؛ إنما هو الإبتداع في الدين الذي وسوس لهم به الشيطان فاتبعوه و تركوا ما كان عليه أنبيائهم .

---

[١] المائدة : ١١٦ : ١١٨

[٢] سبق تبيان ذلك في الفصل الأول تحت عنوان **(الفهم الخاطيء لمعاني القرآن الكريم)** .

[٣] عن ابن عباسٍ سمع عمر بن الخطاب ﵁ يقولُ على المنبر : سمعت النبي ﷺ يقول : **« لا تطْروني كما أطرتِ النصارى ابن مريم ، فإنما أنا عبدٌ، فقولوا: عبد اللهِ ورسوله»** . صحيح البخاري / ٣٣٧٢ ، و الإطراء هو المبالغة في المحبة لدرجة التقديس .

٣. ﴿ فَأشارت إِليهِ قالُوا كيف نكلِّم من كانَ فِي الْمهدِ صبِياً ۞ قالَ إِني عبد اللّهِ آتانِي الْكِتاب وجعلَنِي نبِياً ۞ وجعلَنِي مباركاً أين ما كُنت وأَوصانِي بِالصلاَةِ والزكَاةِ ما دمت حياً ۞ وبراً بِوالِدتِي ولَم يجعلْنِي جباراً شقِياً ۞ والسلاَم علَي يوم ولِدت ويوم أَموت ويوم أُبعثُ حياً ۞ ذَلِك عِيسى ابن مريم قَولَ الْحق الَّذِي فِيهِ يمترون ۞ ما كَانَ لِلَّهِ أَن يتخِذَ مِن ولَدٍ سبحانه إِذَا قَضى أَمراً فَإِنما يقُولُ لَه كُن فَيكُونُ ﴾ [1] و الأيات الكريمة تشير إلى معجزة كلام المسيح عليه السلام و هو في المهد صبيا ، و على الرغم من أن النصارى ينكرون تلك المعجزة لعدم ذكرها في أناجيلهم ألا إن المؤلف و غيره من النصارى يستفيدون منها في خدمة أفكارهم ؛ فنرى المؤلف يقول : (*.. وإقرار الإسلام بهذا الميلاد العجيب مصادقة منه على سمو شخصية المسيح وحقيقة لاهوته الممجد*) ، و نقول له : هل وعيت مفهوم الأيات الكريمة جيداً ؟.. نشك في ذلك !.. فعندما تكلم المسيح عليه السلام في مهده قال : ﴿ ..إِني عبد اللّهِ .. ﴾ ، ولم يقل شيئا آخر معاذ الله ، و هذا لا يقول أبدا بلاهوته كما يرى المؤلف ، بل ندعوه للتروي في قراءة الأيات !

٤. ﴿ إِذْ قَالَ اللّه يعِيسى ابن مريم اذْكُر نِعمتِي علَيك وعلَى والِدتِك إِذْ أَيدتك بِروحِ الْقُدسِ تكَلِّم الناس فِي الْمهدِ وكَهلاً وإِذْ علَّمتك الْكِتاب والْحِكْمةَ والتوراةَ والإِنجِيلَ وإِذْ تخلُق مِن الطِّينِ كَهيئَةِ الطَّيرِ بِإِذْنِي فَتنفُخ فِيها فَتكُونُ طَيراً بِإِذْنِي وتبرِئُ الأَكْمه والأَبرص بِإِذْنِي وإِذْ تخرِج الْموتى بِإِذْنِي وإِذْ كَفَفْت بنِي إِسرائِيلَ عنك إِذْ جِئْتهم بِالْبيناتِ فَقَالَ الَّذِين كَفَرواْ مِنهم إِنْ هـذَا إِلاَّ سِحر مبِين ﴾ [2] ، و نرى الخالق عز وجل يمن على عبده المسيح عليه السلام بالمعجزات التي أيده بها لإتمام رسالته كتأييده بروح القدس جبريل عليه السلام ، و كلامه في المهد ، و إتيانه الكتاب و الحكمة و التوراة و الإنجيل كل من عند الله ، و صنعه من الطين كهيئة الطير و نفخه فيها بإذن الله فتصير طيرا ، و شفائه للمرضى و إحيائه الموتى بإذن الله ، و في النهاية نجاته من بني إسرائيل عندما أرادوا به السوء ، و ما كان ذلك إلا بمشيئته و توفيقه جل جلاله و لكن النصارى يتخذون تلك المعجزات الواردة في الآية دليلا على ألوهية عيسى و يغضون الطرف عن كلمة : ﴿ ..بِإِذْنِي .. ﴾ ، و أيضا يقول الحق تبارك و تعالى على لسان نبيه المسيح عليه السلام : ﴿ ... أَني قَد جِئْتكُم بِآيةٍ من ربكُم أَني أَخلُق لَكُم من الطِّينِ كَهيئَةِ الطَّيرِ فَأَنفُخ فِيهِ فَيكُونُ طَيراً بِإِذْنِ اللّهِ وأُبرِئُ الأكْمه والأَبرص وأُحيِـي الْموتى بِإِذْنِ اللّهِ وأُنبئُكُم بِما تأْكُلُونَ وما تدخِرونَ فِي بيوتِكُم إِنَّ فِي ذَلِك لآيةً لَّكُم إِن كُنتم مؤمِنِين ﴾ [3] فتكرار كلمة (بإذن الله) في الأيات دليلا على عدم مصادقة القرآن الكريم بأي حال من الأحوال القول بألوهية المسيح عليه السلام .

[1] مريم : ٢٩ - ٣٥
[2] المائدة : ١١٠
[3] آل عمران : ٤٩

٥. ﴿ وإذْ قالَ عِيسى ابن مريم يبني إسرائيلَ إني رسولُ اللّهِ إليْكُم مصدقاً لّما بين يدي مِن التوراةِ ومبـشراً بِرسولٍ يأتي مِن بعدِي اسمه أحمد فلما جاءهم بِالبينات قالوا هـذا سِحرٌ مبِينٌ ﴾ [1] و توضـح الأيـات حقيقة شخصية المسيح عليه السلام إذ أنه رسول الله إلى بني إسرائيل غير ناقضٍ للتوراة ، و في تبشيره برسول الله ﷺ من بعده نقض لمفهوم ألوهيته لو تدبر أولو الألباب !

٦. ﴿ ما كانَ لِبشرٍ أن يؤتيه اللّه الكِتاب والحكْم والنبوةَ ثم يقُولَ لِلناس كُونوا عِباداً لّي مِن دون اللّهِ ولـكِن كُونوا ربانِيين بِما كُنتم تعلّمونَ الكِتاب وبما كُنتم تدرسونَ ﴾ [2] ، و الآية ترد على من قـال إن عيسى علّم أتباعه أنه يعبدوه كربا لهم ، بل علمهم أن يعبدوا الله وحده كما تعلموا من الكتاب و من الأنبياء السابقين . و قد نزلت الآية في نصارى نجران في محاوراتهم مع النبي ﷺ و لكن مفهومها يمتد ليشمل النصارى جميعا لتعلمهم الحق من ربهم .

٧. ﴿ لّقد كفرَ الّذِين قَالُواْ إِنّ اللّه هو المسِيح ابن مريم قُلْ فَمن يملِك مِن اللّهِ شيئاً إِنْ أراد أن يهلِك المسِيح ابن مريم وأمه ومن فِي الأرض جمِيعاً ولِلّهِ ملْك السماواتِ والأرض وما بينهما يخلُق ما يشاءُ واللّه على كُلّ شيءٍ قَدِيرٌ ﴾ [3] و هذا هو القول الفصل و الحكم من رب العزة جل جلاله بتكفير كـل القـائلين بألوهية عيسى ، أو بأنه هو الله ، أو بأنه ابن الله ! و في الأيات الكريمة يقول الله عز وجل لنبيه قل يا محمد للـذين يدعون أن الله هو المسيح فلم لم يستطع المسيح درء الخطر الذي أحاط به ؟ فأعلموا أن المسيح لو كـان إلهـا لقدر على دفع ما نـزل به أو بغيره ، وقد أمات الله أمه ولم يتمكن من دفع الموت عنها ؛ فلو أهلكـه هـو أيضا فمن يدفعه عن ذلك أو يرده ولله ملك السماوات والأرض وما بينهما والمسيح وأمه بينـهما مخلوقـان محدودان محصوران ، وما أحاط به الحد والنهاية لا يصلح للإلوهية .

o <u>**معنى (الوفاة) في قصة عيسى عليه السلام :**</u>

يقول الله تعالى : ﴿ إِذْ قَالَ اللّه يعِيسى إِني متوفّيك ورافِعك إِلَي ومطهرك مِن الّذِين كَفَروا وجاعِلُ الّذِين اتبعوك فَوق الّذِين كَفَروا إِلَى يومِ الْقِيامةِ ثُم إِلَي مرجِعكُم فَأَحكُم بينكُم فِيما كُنتم فِيهِ تختلِفُونَ ﴾ [4] ، و عن هـذه الآية يعلق المؤلف : (*... نرى الإسلام يصرح بأن المسيح قد توفي ثم رفع إلى السموات حياً. وهذا هو بعينه ما تعلّم به المسيحية في هذا الشأن. ولقد حاول بعض المفسرين أن يقلبوا الحقيقة إلى مجاز بتحويلهم معنى الموت هنـا إلى النـوم. ولكن هذا رأي مردود...*) انتهى الإقتباس من كلام المؤلف .

---

[1] الصف : ٦
[2] آل عمران : ٧٩
[3] المائدة : ١٧
[4] آل عمران : ٥٥

و إذا درسنا أقوال المفسرين في هذا الأمر نجد فعلا اختلافا جدير بالدراسة ؛ فالوفاة في اللغة معناها بلوغ الأجل و الذي يكون بالموت أو مجازا بالنوم أو فعلا بانتهاء العمل القائم ، و هذا هو ما نراه هنا ؛ فمعني الوفاة في قصة عيسى عليه السلام هو بلوغ الحد الذي حدده الله له في الأرض أو بلغة العصر الحاضر : ينهي مهمته . و الدليل على ذلـك قـول عيسى عليه السلام لربه : ﴿ .. فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنتَ أَنتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ .. ﴾ ، فالمفهوم من سياق الكلام كما يرى الحـافظ ابن كثير و القرطبي و الحسن البصري و غيرهم : المقصود انتهاء الأجل المحدد و ليس الموت ، و ذلك لما رواه قُتيبة بن سعيدٍ حدثَنا الليثُ عن ابنِ شهابٍ عن ابنِ المسيبِ أنه سمع أبا هريرة رضي اللّهُ عنه يقولُ: قال رسولُ اللهِ ﷺ: «**والذي نفسي بيدِه ليوشِكن أن ينزلَ فيكم ابن مريم حكَماً مقْسِطاً فيكسِر الصليب، ويقتلَ الخِنزير، ويضع الجِزيةَ، ويفيض المالُ حتى لا يقبلَه أحد**»[1] فلو كان معنى الوفاة بالموت لما كان للحديث الشريف معنى ملمـوس ، و لـذا فأغلـب المفسرين يجمعون أنه حي عند ربه في مكانٍ علي .

أما قوله تعالى لا إله إلا هو : ﴿ **وَإِن مِّنْ أَهْـلِ الْكِتَابِ إِلاَّ لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكُـونُ عَلَـيْهِمْ شَهِيداً** ﴾[2] قال الحافظ ابن كثير : (يعني قبل موت عيسى يوجه ذلك إلى أن جميعهم يصدقون به إذا نزل لقتل الدجال فتصير الملل كلها واحدة وهي ملة الإسلام الحنيفية دين إبراهيم عليه السلام ..) ، و يقول تفسير الجلالين : (وإن ما من أهل الكتاب أحد إلا ليؤمنن به أي بعيسى قبل موته أي الكتابي فالهاء عائدةً عليه لا على عيسى عليه السلام حين يعاين ملائكـة الموت فلا ينفعه إيمانه أو قبل موت عيسى لما ينزل قرب الساعة كما ورد في حديث ويوم القيامة يكون عيسى علـيهم شهيدا بما فعلوه لما بعث إليهم) .

o **مفهوم عصمة الأنبياء في الإسلام :**

يؤمن المسلمون بعصمة النبي ﷺ و الأنبياء جميعا عليهم صلوات ربي و سلامه من الوقوع في أخطـاء البـشر في حين لا يؤمن النصارى إلا بعصمة المسيح فقط دون سائر الأنبياء الذين تصورهم التوراة كخطائين مثل باقي البشر ، و فلسفتهم هنا كما يشرحها د. مصطفى محمود[3] هي أن الله أراد أن يبعث للخطائين من عباده خطائين مثلهم ، فالأنبياء مثلهم كمثل باقي البشر فيهم الضعف و الغواية و عندما أراد الرب أن يكلم البشر فكان كلامه من خلال شخصيات بشرية متعثرة مثلهم .. و هذه أروع صورة لحرية إرادة الإنسان و لعظمة الله .

و نوافق النصارى في مسألة عصمة عيسى عليه السلام من الوقوع في شرك الخطايا لكونه نبيا من أنبياء الله ، و فلسفة عصمة الأنبياء في الإسلام من القضايا المسلم بها ؛ فلو كان الأنبياء خطائين مثل باقي البشر لإنتفت القدوة الصالحة التي في الأنبياء لنقتدي بها ؛ فكيف لراعي ضال ساذج أن يقود قطيعا من الخراف الضالة ؟ قطعا إنه سيكون سببا في ضياع أغلبهم و هلاكهم و لن يستطيع أحد أن يسأله عما يفعل .. لأنه خطاء !!..

---

[1] صحيح البخاري / ٢١٩٤ – كتاب البيوع باب قتل الخنزير .
[2] النساء : ١٥٩
[3] التوراة – د. مصطفي محمود ، الطبعة السادسة ص٤٤ – دار المعارف بمصر .

كذلك الأنبياء في مفهوم المسلمين ؛ فعصمة الأنبياء تكون من الكبائر و الأمور المذرية التي يقع فيها البشر تحت تأثير ضعف النفس و الشيطان ، فذلك الأخير ليس عليه سلطان على عباد الله الصالحين كما يقول الله تعالى : ﴿ قَـالَ رب بِمآ أغْويتني لأزينن لَهم فِي الأرض ولأغْوينهم أجمعِين ۞ إلاّ عِبادك مِنهم الْمخلَصِين ۞ قَالَ هذَا صِـراطٌ علَي مستقِيمٌ ۞ إنّ عِبادِي لَيس لَك علَيهِم سلْطَانٌ إلاّ من اتبعك مِن الْغاوِين ﴾ [1] فما بالك بالأنبياء ؟!.. أما عن ضعف النفس فقد عصم الله أنبياءه منه بفضل قوة إيمانهم ؛ فمعلوم أن قوة السيطرة و الإحكام على النفس مـن قـوة الإيمان ..

فهل الأنبياء إذاً دون خطايا ؟..

كلا!.. فلهم تجاوزاتهم الناتجة عن عدم فهم الأمور بصورتها السليمة ؛ مثلا كنوح ﷺ عندما تضرع إلى ربه في ولده : ﴿ ونادى نوحٌ ربه فَقَالَ رب إنّ ابني مِن أَهلِي وإنّ وعدك الْحق وأنت أحكَم الْحاكِمِين ﴾ و هـذا لـيس خطأً في حق الله بل إنه أب يتضرع لربه من أجل ولده ، و لكن سرعان ما يفهمه ربه حقيقة الأمر فيقـول : ﴿ قَـالَ ينوح إنه لَيس مِن أَهلِك إنه عملٌ غَير صالِحٍ فَلا تسألْنِـي ما لَيـس لَك بِهِ عِلْمٌ إنِـي أعِظُـك أن تكُـونَ مِـن الْجاهِلِين ﴾ ؛ فقد وعده ربه وعد الحق أن ينجيه هو و أهله من المؤمنين ، ففهم خطأً أن أهله بمعنى عشيرته كزوجتـه مثلا و أبنائه و أبائه ، و حينما وعظه ربه لكيلا يكون من الجاهلين فهم الصواب فأناب مستغفرا : ﴿ قَالَ رب إنِـي أعوذُ بِك أنْ أسألَك ما لَيس لِي بِهِ عِلْمٌ وإلاّ تغفِر لِي وترحمنِي أكُن من الْخاسِـرِين ﴾ [2] ، و لأن الله ﷻ تـواب رحيم فقد تاب على عبده و نجاه و من كانوا معه من الهلاك .

أو مثلا في قصة داوود ﷺ نقرأ في سورة ص : ﴿ وهلْ أتاك نبأ الْخصمِ إذْ تسوروا الْمِحراب ۞ إذْ دخلُوا علَى داوود فَفَزِع مِنهم قَالُوا لا تخف خصمان بغى بعضنا علَى بعضٍ فَاحكُم بيننا بِالْحق ولا تشطِطْ واهدِنآ إلَـى سوآءِ الصراطِ ۞ إنّ هذَآ أخِي لَه تِسعٌ وتسعونَ نعجةً ولِي نعجةٌ واحِدةٌ فَقَالَ أكْفِلْنِيها وعزنِي فِي الْخِطَابِ ۞ قَالَ لَقَد ظَلَمك بِسؤالِ نعجتِك إلَى نِعاجِهِ وإنّ كَثِيراً من الْخلَطَآءِ لَيبغِي بعضهم علَى بعضٍ إلاّ الَّذِين آمنوا وعمِلُوا الصالِحاتِ وقَلِيلٌ ما هم وظَن داوود أنما فَتناه فَاستغفَر ربه وخر راكِعاً وأناب ۞ فَغفَرنا لَه ذَلِك وإنّ لَه عِنـدنا لَزلْفَى وحسن مـآبٍ ﴾ [3] ، فظاهر الأمر أن داوود ﷺ الحاكم العادل قد سمع شـكوى الأول دون أن يـسمع شكوى الأخر ثم يفصل بينهما بالحق ؛ و لكنه أصدر حكمه عليه دون ذلك ، و لأنه تنبه إلى تلك الفتنة من ربه فخـر راكعا متضرعا إليه أن يغفر له و هو الغفور الرحيم .

أو مثلا في قصة ذي النون يونس ﷺ كما نقرأها في سورة الأنبياء : ﴿ وذَا النونِ إذ ذّهب مغاضِباً فَظَـن أن لّن نقْدِر علَيهِ فَنادى فِي الظّلُماتِ أن لاّ إلَـه إلاّ أنت سبحانك إني كُنت مِن الظّالِمِين ۞ فَاستجبنا لَه ونجينـاه

[1] الحجر : ٣٩ - ٤٢
[2] الأيات ٤٥ – ٤٧ من سورة هود
[3] ص : ٢١ - ٢٥

مِن الْغم وكَذَلك ننجِـي الْمؤمِنين ﴾ [1] ، فقد أمره الله تعالى بالمسيرة إلى قومٍ و دعايتهم لعل الله يهديهم ، و لمـا لم يجد منهم استجابة لدعوته خرج مغاضبا من أجل ربه ؛ أي غضب على قومه من أجل كفرهم بربه وقيل: إنه غاضب قومه حين طال عليه أمرهم وتعنتهم فذهب فارا بنفسه ، ولم يصبر على أذاهم وقد كان الله أمره بملازمتهم والدعاء لهم ، فكان ذنبه خروجه من بينهم من غير إذن من الله . و عندما وقع في ابتلاء الحوت استغفر ربه أنه كان ظالما لنفـسه فأنجاه ربه من بطن الحوت و أرسله إلى مائة ألف أو يزيدون .

و موسى عليه السلام عندما استنجد به واحد من أقاربه و قد اشتبك مع أحد المصريين و نقرأ الـنص : ﴿ ودخـلَ الْمدِينةَ على حِينِ غَفْلَةٍ من أهلِها فَوجد فِيها رجلَين يقْتِتلان هـذَا مِن شِيعتِهِ وهـذَا مِن عدوِهِ فَاستغاثَه الَّذِي مِن شِيعتِهِ على الَّذِي مِن عدوِهِ فَوكَزه موسى فَقَضى علَيهِ قَالَ هـذَا مِن عمل الشيطَانِ إِنه عدو مضِلٌ مبِينٌ ﴾ ، فلـم يكن في قصد موسى عليه السلام قتل المصري ، و لكن الغضب هو الذي دفعه إلى ذلك ، و لأنه تنبه إلى ذلك فـ : ﴿ قَالَ رب إِني ظَلَمت نفْسِي فَاغْفِر لِي فَغفَر لَه إِنه هو الْغفُور الرحِيم ﴾ و لأنه عليه السلام قد أدرك خطر القوة التي منحها الله تعالى له : ﴿ قَالَ رب بِما أَنعمت علَي فَلَن أَكُونَ ظَهِيراً لِّلْمجرِمِين ﴾ [2] .

و أخيرا محمد صلى الله عليه وسلم نبي الله و رسوله عندما طلب منه ابن أم مكتوم الأعمى أن يحدثه عن الإسلام رأى أن يتركه و يذهب ليدعو عظماء قريش الذين يولّون له ظهورهم و يعرضون عن دعوته ، فعاتبه ربه فيه بالقرآن و قال : ﴿ عبس وتولّى ۞ أن جآءه الأعمى ۞ وما يدريك لعلّه يزكّى ۞ أو يذّكّر فتنفعه الذّكْرى ﴾ [3] ، و قد استغفر النبي لذنبه و غفر الله له ، و عندما ذهب ابن أم مكتوم للنبي ثانيةً رحب به ضاحكا و قال : « أهلا بالذي عاتبني فيه ربي » .

و هكذا نرى أن خطايا الأنبياء ليست كخطايا البشر ، بل الذي يزيد منها هو قُرب النبي من ربه فلا يقبـل أن يراه ربه في صورة المقصر الذي انساق وراء بشريته عن بلاغ رسالة رب العالمين . فكانت خطاياهم من ذلك النـوع الأقرب للحسنات في عرفنا ! ؛ فأنت لو تصدقت بنصف مالك تقول أنك أحسنت .. أما ذلك النبي لو تصدق بنصف ماله فلا يكون ذلك إلا خطيئة لأن الصدقة عند النبي هي أن يعطي كل ما يملك و لا يستبقي إلا خبـزه كفافـه و لا يدخر لنفسه شيئا ؛ حتى لا ينشغل بعرض الحياة الدنيا و لو للحظة عن ذكر الله و تبليغ رسالته إلى عباده المؤمنين فهـو مشغول بالله متوكل عليه دائما ، و عندما ينشغل و لو للحظة بنفسه فإنه يستغفر و يتوب و يخر راكعا مبتـهلا إلى الله لعلّه يغفر له .. تلك هي خطايا الأنبياء . و لذا فمن الطبيعي أن يكون النبي قدوة طيبة و نموذجا حسنا بحكـم كونـه المختار من ملايين من البشر و إلا يسقط عنه تشريف المولى عز وجل و يصبح مضللا بدلا من أن يكون هاديا !

و لم يكن الأنبياء أبدا مضللين بل كانوا هداه ، و كانوا خير قدوه ، و لكن حرص اليهود - و هم أصـحاب الكتاب الأول و الذين توارث عنهم النصارى عقيدتهم في الأنبياء - على تشويه سيرتهم الطيبة و تخريب كل شيء بل و

---

[1] الأنبياء : ٨٧ - ٨٨
[2] الأيات ١٥ – ١٧ من سورة القصص
[3] عبس : ١ - ٤

كراهيتهم لأنبيائهم جعلهم يقتلون حتى ذكرى هؤلاء الأنبياء و يتابعون أقوالهم و أعمالهم بالتحريف و الزيف . فالقتل و الزنا و السرقة و الخيانة من أخطاء أراذل الناس و المتشردين و لا يصح أن يوصف بها الأنبياء كما يصفهم العهد القديم[١] .

الخلاصة :

١. إن الإسلام أبدا لم يوافق عقيدة النصارى في مسألة ألوهية المسيح عليه السلام و لكنه يشدد بنصوص القرآن الكريم و السنة الشريفة على أن عيسى عليه السلام عبد الله و رسوله و كلمته ألقاها إلى مريم و روح منه ، و هذه هي عقيدة المسلم .
٢. لا يصادق القرآن الكريم أيضا على مفهوم موت عيسى عليه السلام كما يرى أغلب المفسرين ، و لكن الوفاة المذكورة في الأيات ٥٥ من سورة آل عمران و ١١٧ من سورة المائدة تعني انتهاء رسالته و مهمته في الدنيا و الذي جاء بعد ذلك رفع الله له عليه السلام مكانا عليّا حتى ينزل فينا ثانية حكما عدلا قرب انتهاء الدنيا .
٣. لا يؤمن المسلم بخطايا الأنبياء الواردة في الكتاب المقدس فأنبياء الله ، صلوات ربي عليهم ، لهم العصمة من الوقوع في شرك الكبائر لإنعدام سلطة الشيطان عليهم ، و قد كانوا في حياتهم ، بل و في سيرتهم من بعد مماتهم قدوة للذين أمنوا بهم و لنا ، إلى أن يرث الله الأرض و من عليها .
٤. يقر النصارى لعيسى عليه السلام بالعصمة من الوقوع في الأخطاء دونا عن أنبياء الله جميعا و الذين تصورهم التوراة في صورة الخطائين ، و نحن نقر لهم بمسألة عصمة عيسى عليه السلام من مظنة الوقوع في الخطايا ، و لكننا لا نوافقهم على مسألة خطايا الأنبياء ؛ لأن ذلك ينافي تشريف المولى عز وجل لهم و اجتبائهم عن كثير من خلقه لحمل رسالته و هداية عباده .

---

[١] للمزيد إرجع لكتاب (بروتوكولات حكماء صهيون و تعاليم التلمود) – تقديم : شوقي عبد الناصر – الفصل الأول : أخلاق اليهود من الكتاب المقدس .

المبحث الخامس :

الشَّفَاعَةُ بين الإِسْلَامِ وعَقِيدَةِ النَّصَارَى[١]

***

بسم الله الرَّحمن الرَّحيم

وَلَا يَمۡلِكُ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ مِن دُونِهِ ٱلشَّفَٰعَةَ إِلَّا مَن شَهِدَ بِٱلۡحَقِّ وَهُمۡ يَعۡلَمُونَ ﴿٨٦﴾

قرآن كريم - سورة الجاثية

يؤمن النصارى أنه ليس هناك من شفيع للخلق يوم القيامة إلا المسيح ﷺ الذي يعتقدون أيضا أنه سوف يكـون آنذاك ديان الأمم ؛ أي المنوط له بمحاكمتهم و محاسبتهم على آثامهم . و لكي يكونوا جديرين بهذه الشفاعة فيجـب عليهم أولا و أخيرا الإيمان به ربا متألما من أجلهم ، و مخلصا إياهم من خطاياهم ، في حين لا يعترف أغلب النصارى بأهمية الأعمال الصالحة و يراها البعض كالأثقال التي تنوء بحاملها ، و في ذلك يقول مارتن لـوثر : (إن الإنجيـل لا يطلب منا الأعمال لأجل تبريرنا، بل بعكس ذلك ، إنه يرفض أعمالنا ... إنه لكي تظهر فينا قوة التبرير يلزم أن تعظم آثامنا جداً، وأن تكثر عددها) . ويقول مفسرا ليوحنا ١٦/٣: (أما أنا فأقول لكم إذا كان الطريق المؤدي إلى السماء ضيقاً وجب على من رام الدخول فيه أن يكون نحيلاً رقيقاً ... فإذا ما سرت فيه حاملاً أعدالاً مملوءة أعمالاً صـالحة، فدونك أن تلقيها عنك قبل دخولك فيه، وإلا لامتنع عليك الدخول بالباب الضيق .. إن الذين نراهم حاملين الأعمال الصالحة هم أشبه بالسلاحف، فإنهم أجانب عن الكتاب المقدس. وأصحاب القديس يعقوب الرسول ، فمثل هؤلاء لا يدخلون أبداً)[1].

و لا نناقش مدى صحة هذا الكلام فليس هذا هو موضوعنا و لكن القصد من ذكره هو تبيـان مجمـل أفكـار النصارى لنتساءل كيف استدل مؤلفنا عليها من صريح القرآن الكريم ؟ و نقرأ معا بعض من أقواله :

- (*... فإذا كان الإسلام قد صرح بأن لا شفاعة للبشر، وأن هذه الشفاعة من حقوق الله جل شـأنه ، في الوقت الذي أثبتها فيه للمسيح، كانت النتيجة المنطقية لهذا هي إقرار الإسلام بلاهوت المسيح . ولم يكـن الإسلام في هذا إلا مصادقاً على صحة العقيدة المسيحية التي تعلّم أن المسيح هو شفيعنا لدى الآب السماوي العادل الرحيم ، وأنه لا شفيع سواه نرجوه، إذ قدم ذاته كفارة عن خطايا العالم أجمع بذبيحة نفسه.*)
- (*روى البخاري: لا تقوم الساعة حتى ينزل فيكم ابن مريم حكماً مقسطاً (صحيح البخاري جزء ٣ صفحة ١٠٧). فهذا الحديث ناطق بأن المسيح سيأتي دياناً عادلاً، وهذا ما يعلنه الوحي الإلهي في الإنجيل المقـدس ... ولا ريب في أن الدينونة هي عمل داخل دائرة سلطان الله، ولن يستطيع إنسان مهما سما قدره أن يتجرأ على أن يشارك الله تعالى هذا السلطان الخاص به. فإذا كان الإسلام قد نسب للمسيح هذا الحق، فما هـو إلا شهادة منه على صدق العقيدة المسيحية عن لاهوت المسيح*) .

و نؤجل الحديث عن الكفارة إلى الفصل القادم ، و لا يساعنا ردا على تلك المقولة الأخيرة إلا أن نذكر للقاريء تتمة الحديث الشريف الذي ذكر المؤلف مقدمته مقتطعةً من السياق كعادته : « **... فيكسِر الصليب، ويقتلَ الخنزير، ويضع الجِزيةَ ، ...** »[2] و طبعا لا تعليق !!.. فمجمل المعنى بالكامل لا يخدم أفكار المؤلف بل يدحضها تمامـا . أمـا

[1] راجع للمزيد كتابنا (بولس و أثره في النصرانية) ص ٣٥ ، و كذلك كتاب (هل افتدانا المسيح على الصليب ؟) للدكتور منقـذ محمود السقار ص ١٢٥ .

[2] البخاري / ٢١٩٤ ، ورد ذكر الحديث كاملا في الفصل الثالث من هذا الكتاب تحت عنوان (معنى **الوفاة** في **قصة عيسى**) .

مجمل مقولاته عن الشفاعة في الإسلام فيجدر بنا أن نتناول هذا الموضوع بالبحث و الدراسة في ضوء عقيدة أهل السنة و الجماعة .

o **مفهوم الشفاعة في القرآن الكريم :**

لا يختلف أهل السنة و الجماعة في حقيقة الشفاعة يوم القيامة ، فيقـول الله ﷻ : ﴿ .. من ذَا الّذِي يـشفَع عِنده إلاّ بِإِذْنِه .. ﴾ [١] ، و أيضا : ﴿ يعلم ما بين أيديهم وما خلْفهم ولا يشفَعونَ إلاّ لِمن ارتضى وهم من خـشيتِه مشفِقُون ﴾ [٢] ، و أيضا : ﴿ لاّ يملِكُونَ الشفَاعة إلاّ من اتخذَ عِند الرحمـَـن عهداً ﴾ [٣] ، و أيضا : ﴿ يومئِـذٍ لاّ تنفَع الشفَاعةُ إلاّ من أذِنَ له الرحمـَـن ورضِي له قَولاً ﴾ [٤] ، و كذلك قوله تعالى : ﴿ ولا تنفَع الشفَاعةُ عِنـده إلاّ لِمن أذِنَ له .. ﴾ [٥] ، و أيضا : ﴿ ولا يملِك الّذِين يدعونَ مِن دونِهِ الشفَاعةَ إلاّ من شهد بِالْحق وهم يعلَمونَ ﴾ [٦] ، فهذه الآيات الكريمة كلها تؤكد وجود الشفاعة عند الله ﷻ يوم القيامة و لكنها مشروطه بإرادته ﷻ لمن سيأذن له في أن يشفع .

و يحاول منكرو الشفاعة أن يخرجوا بما يعضد مقولتهم من القرآن الكريم فيذكرون : ﴿ واتقُواْ يوماً لاّ تجـزِي نفْسٌ عن نفْس شيئاً ولا يقْبلُ مِنها عدلٌ ولا تنفَعها شفَاعةٌ ولا هم ينصرونَ ﴾ [٧] فهذا نقد ظاهر لوجود الشفاعة ، و أيضا : ﴿ وأَنذِرِ بِهِ الّذِين يخافُونَ أن يحشرواْ إِلَى ربهِم لَيس لَهم من دونِهِ ولِي ولا شفِيعٌ لّعلّهم يتقُونَ ﴾ [٨] و غيره كثير[٩] . و حقيقة الأمر إن هؤلاء المنكرين لا يفهمون حقيقة تلك النصوص الكريمة ؛ فقد كان المشركين فيما مـضى يعبدون الأصنام التي صنعوها بأيديهم و التي يعتقدون أنها سوف تقربهم من الله زلفي و سوف تشفع لهم عنده ، فجاء القرآن مؤكدا لأنه لا شفاعة لتلك الأصنام التي لا تملك من أمر نفسها شيئا ، و في ذلك يقول الله ﷻ : ﴿ ويعبـدونَ مِن دون اللّهِ ما لا يضرهم ولا ينفَعهم ويقُولُونَ هـَـؤلآءِ شفَعاؤنا عِند اللّهِ قُلْ أتنبئُونَ اللّــه بِمــا لا يعلَــم فِـي السماواتِ ولا فِي الأرض سبحانه وتعالى عما يشركُونَ ﴾ [١٠] ، و أيضا : ﴿ أَمِ اتخذُواْ مِن دون اللّهِ شفَعآءَ قُـلْ أولَو كـَانواْ لا يملِكُونَ شيئاً ولا يعقِلُونَ ۝ قُل لِلّهِ الشفَاعةُ جمِيعاً لّه ملك السماواتِ والأرض ثُم إِلَيهِ ترجعونَ

---

[١] البقرة : ٢٥٥
[٢] الأنبياء : ٢٨
[٣] مريم : ٨٧
[٤] طـه : ١٠٩
[٥] سبأ : ٢٣
[٦] الزخرف : ٨٦
[٧] البقرة : ١٢٣
[٨] الأنعام : ٥١
[٩] راجع للمزيد كتاب الدكتور مصطفى محمود (الشفاعة) – الفصل الأول .
[١٠] يونس : ١٨

﴾ [1] و هذا هو القول الفصل ؛ إذ أن تلك الأيات و غيرها تتكلم عن تلك الأصنام التي اتخذها المشركين شركاءا لله و أندادا و اعتقدوا أنها سوف تشفع لهم عنده في حين أنها سوف تتبرأ منهم يوم القيامة و مما كانوا يعملون : ﴿ **ولم يكُن لّهم من شركآئهم شفعَاءُ وكانواْ بِشركآئهم كافِرين** ﴾ [2] . و ليس في هذا ما يوضح النفي المطلق لمفهوم الشفاعة ، و بالتالي إذا فهمنا هذه الآيات الكريمة إلى جوار التي ذكرناها سابقا تتضح لنا الخطوط العريضة في مفهـوم الـشفاعة و نلخصها كالتالي :

- لا تقبل شفاعة من اتخذ لله أندادا ، بل لا توجد لهم شفاعة على الإطلاق ، و يوم القيامة يتبرأ منهم أمام الله مـا اتخذوه من دونه أندادا .
- الشفاعة حق يمنحه الله ﷻ يوم القيامة لمن يشاء و من يرتضي له قولاً و من شهد بالحق .

o شفاعة النبي ﷺ :

يقول الله ﷻ مخاطبا نبيه ﷺ : ﴿ **أقِمِ الصلاةَ لِدلُوكِ الشمس إلى غَسق اللّيل وقُرآنَ الفَجرِ إنّ قُرآنَ الفَجـرِ كَانَ مشهوداً ۞ ومن اللّيل فَتهجد بِهِ نافِلةً لّك عسى أن يبعثَك ربك مقاماً محموداً** ﴾ [3] ، و لا يختلف المفسرون في أن هذا المقام المحمود هو الشفاعة يوم الدين ، و في الحديث الشريف عن جابر بن عبدِ اللّهِ: أن رسولَ اللهِ ﷺ قال: **«من قال حِين يسمع النداءَ: اللهم رب هٰذه الدعوةِ التامة والصلاةِ القائمةِ آتِ محمداً الوسيلةَ والفضيلةَ، وابعثْـه مقاماً محموداً الذي وعدته، حلت له شفاعتي يوم القيامة»** [4] . و أيضا عن مالك عن أبي الزنادِ عن الأعرج عـن أبي هريرةَ أن رسول الله ﷺ قال: « **لكل نـبي دعوةٌ مستجابة يدعو بها، وأريد أن أختبِىء دعوتي شـفاعةً لأمـتي في الآخرة** » [5] . و هذا تأكيد لشفاعة النبي ﷺ من القرآن و السنة الصحيحة و المؤكدة و السؤال هنا : فيم تكون شفاعة النبي ﷺ يوم القيامة ؟ و نفهم في الأحاديث الشريفة الواردة عن رواه ثقات و الثابتة في كتب الحديث الصحيحة أن له ﷺ شفاعة أن يستأذن ربه ﷻ أن يبدأ حساب الخلائق يوم القيامة كما نقرأه في الحديث التالى :

عن أبي هريرةَ ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ : « **أنا سيد الناس يوم القيامة، وهل تدرونَ مم ذلـك ؟ يجمـع الناس ، الأولين والآخِرين ، في صعِيدٍ واحدٍ، يسمعهم الداعي، وينفذُهم البصر، وتدنو الشمس فيبلُغُ الناس مـن الغم والكَربِ ما لا يطيقون ولا يحتمِلون. فيقولُ الناس: ألا ترونَ ما قد بلغكم؟ ألا تنظرون من يشفع لكـم إلى**

---

[1] الزمر : ٤٣ - ٤٤
[2] الروم : ١٣
[3] الإسراء : ٧٨ - ٧٩
[4] صحيح البخاري / ٦٠٧ ، كتاب الأذان – باب الدعاء عند النداء . و في صحيح مسلم / ٨٠٠ - كتاب الصلاة : و يوضح النبي ﷺ معنى الوسيلة قائلا : « **.. ثُم سلُوا الله لِي الوسِيلة، فإنها منزلةٌ فِي الجنة لا تنبغِي إلا لِعبدٍ مِن عِبادِ الله، وأرجو أنْ أكُونَ أنا هـو، فمن سألَ لِي الوسِيلةَ حلت له الشفَاعةُ».**
[5] صحيح البخاري / ٦١٥٩ ، كتاب الدعوات – باب لكل نبي دعوة مستجابة ، صحيح مسلم / ٤٤٠ – كتاب الإيمان .

ربكم؟ فيقولُ بعض الناس لبعض: عليكم بآدم، فيأتون آدم عليهِ السلام فيقولون له: أنت أبو البشر، خلقَك الله بيدِه، ونفخ فيك من روحِه، وأمر الملائكةَ فسجدوا لك، اشفع لنا إلى ربك، ألا ترى إلى ما نحن فيه؟ ألا ترى إلى ما قد بلَغنا؟ فيقول آدم: إن ربي قد غضب اليوم غضباً لم يغضب قبلَه مثله، ولن يغضب بعده مثلَه، وإنه نهاني عن الشجرة فَعصيته، نفسي نفسي نفسي، اذهبوا إلى غيري، اذهبوا إلى نوح. فيأتونَ نوحاً فيقولون. يا نوح ! إنك أنت أول الرسل إلى أهل الأرض، وقد سماك الله عبداً شكوراً، اشفع لنا إلى ربك ! ألا ترى إلى ما نحن فيه؟ فيقول: إن ربي ﷻ قد غضب اليوم غضباً لم يغضب قبلَه مثله ولن يغضب بعده مثله. وإنه قد كانت لي دعوةٌ دعوتها على قومي، نفسي نفسي نفسي، اذهبوا إلى غيري، اذهبوا إلى إبراهيم . فيأتونَ إبراهيم فيقولون : يا ابراهيم أنت خليل الله و ابو الأنبياء اجتباك ربك برسالته و جعلى في ذريتك النبوة و الكتاب . اشفع لنا إلى ربك ! ، ألا ترى إلى ما نحن فيه؟ فيقول: إن ربي ﷻ قد غضب اليوم غضباً لم يغضب قبلَه مثله ولن يغضب بعده مثله. نفسي نفسي نفسي ، اذهبوا إلى غيري! ، اذهبوا إلى موسى ! فيأتون موسى و يقولون : يا موسى ! أنت نبي الله فضلك برسالته و بكلامه ، اشفع لنا إلى ربك ! ألا ترى إلى ما نحن فيه؟ فيقول لهم: إن ربي قد غضب اليوم غضباً لم يغضب قبله مثله، ولن يغضب بعده مثله وإني قد قَتلت نفساً لم أُومر بقتلها، نفسي نفسي نفسي، اذهبوا إلى غيري ! اذهبوا إلى عيسى. فيأتون عيسى فيقولون: يا عيسى، أنت رسولُ الله وكلمته ألقاها إلى مريم، وروحٌ منه، وكلمت الناس في المهد صبياً، اشفع لنا إلى ربك، ألا ترى إلى ما نحن فيه؟ فيقول عيسى: إن ربي قد غضب اليوم غضباً لم يغضب قبله مثله ولن يغضب بعده مثله – ولم يذكر ذَنباً – نفسي نفسي نفسي، اذهبوا إلى غيري ! اذهبوا إلى محمد ﷺ . فيأتون محمداً ﷺ فيقولون: يا محمد، أنت رسولُ الله ، وخاتمُ الأنبياء ، وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر، اشفع لنا إلى ربك، ألا ترى إلى ما نحن فيه؟ فأنطِلق، فآتي تحت العرش فأقَع ساجِداً لربي ﷻ ، ثم يفتح الله علي من محامِدِه وحسن الثناءِ عليهِ شيئاً لم يفتحه على أحدٍ قبلي. ثم يقال: يا محمد، ارفَع رأسك، سَلْ تعطَه، واشفع تشفع. فأرفع رأسي فأقول: أمتي يا رب، أمتي يا رب. فيقال: يا محمد، أدخِلْ من أمتك من لا حِساب عليهم من الباب الأيمن من أبوابِ الجنة، وهم شركاءُ الناس فيما سوى ذلك من الأبواب. ثم قال: والذي نفسي بيدِه إن ما بين المصراعين من مصاريع الجنة كما بين مكةَ وحِمير، أو كما بين مكةَ وبصرى»[1] .

و الواضح من ذلك الحديث الصحيح الذي يوضح أن بالإضافة إلى شفاعة استئذان الله ﷻ في بدء الحساب ، فإن النبي ﷺ أيضا له الشفاعة العظمى أي يشفع فيمن استحق شفاعته في أمته و أي من شهد ألاّ إله إلا الله و أن محمدا عبده و رسوله خالصةً من قلبه ، و أقام الصلاة ، و أتى زكاة ماله ، و صام رمضان ، و حج البيت إن استطاع إليه سبيلا و اجتنب نواهي ربه و معاصيه و حب الخير إلى قلبه ، و لكن ناءَت به نفسه إلى بعض الخطايا بفعل بشريته فتكون شفاعة النبي إلى الله ﷻ في التجاوز عن تلك الخطايا و يدخِله الجنة إن شاء الله . أما تارك الصلاة ، أو مانع

[1] صحيح البخاري / ٤٧١٢ كتاب تفسير القرآن – سورة الإسراء باب ذرية من حملنا مع نوح ، و صحيح مسلم / ٤٣٣ كتاب الإيمان – باب أدنى أهل الجنة منزلة .

الزكاة ، أو منكر السنة أو فاعل الكبائر المجتريء على الله تبارك تعالى فهل له شفاعة و هو لم يعمل عملا ليكون جدير بها ؟.. اللهم لا ، بل لا أتصور أن يتجرأ النبي ﷺ في الشفاعة فيهم ، و قد رفض مِن قبل شفاعة أسامة بن زيد ﷺ في المرأة المخزومية التي سرقت في عام الفتح[1] ، فهل يعقل أن يشفع ﷺ عند الله في تاركي شريعته و منهاجه ؟ و هو تعالى أعلى و أعلم .

كذلك يشفع ﷺ في فتح باب الجنة فيكون أول من يفتح أبوابها أمام الخلق يوم القيامة فيدخلها عباد الله المكرمين الذين استحقوا شفاعته العظمى فهو ﷺ بحق سيد ولد أدم أبد الدهر ، و هو ﷺ أول من ينشق عنه القبر ، و هـو ﷺ أول شفيع يوم الحشر ... صلوات ربي و سلامه عليك سيدي يا رسول الله ، اللهم نولنا جميعا شفاعته العظمى يـوم يهرب منها الجميع و يقولون : نفسي نفسي ! ، فيقول : أنا لها أنا لها ! .. اللهم آمين .

كذلك يشفع النبي ﷺ في أقاربه و لا سيما عمه أبا طالب بن عبد المطلب الذي تولى رعايتـه و حمايتـه مـن مشركي قريش طيلة حياته ، و الذي قال ﷺ له حين قُبِض : « **سأستغفر لك ربي ما لم أنه عن ذلك** » فنزل قول الله تعالى : ﴿ **ما كانَ لِلنبِي والّذِين آمنوا أن يستغفِروا لِلْمشرِكِين ولو كانوا أولي قُربى مِن بعدِ ما تبين لهـم أنهـم أصحاب الجحِيم** ﴾ [2] ، و لذلك سيشفع فيه أن يخفف عنه العذاب يوم القيامة بأن يكون في ضحضاح من النار بدلا من أن يكون في الدرك الأسفل[3] . أيضا و في الحديث الشريف عن أبي هريرةَ أنه قَالَ: قَالَ رسولُ اللّهِ ﷺ حِين أنـزِلَ عليْهِ: ﴿ **وأنذِر عشِيرتك الأقْربِين** ﴾ (الشعراء: ٢١٤) «**يا معشر قُريش اشتروا أنفُسكُم مِن الله. لا أغْنِي عنكُم مِن الله شيئاً. يا بنِي عبدِ المطلِبِ لا أغْنِي عنكُم مِن الله شيئاً. يا عباس بن عبدِ المطلِبِ لا أغْنِي عنك مِن الله شيئاً. يا صفِيةُ عمةَ رسولِ اللّهِ لا أغْنِي عنكِ مِن اللّهِ شيئاً. يا فَاطِمةُ بِنت رسولِ اللّهِ سلِينِي بِما شِئْتِ مِن مالِي أعطِيكِ . و لكن لا أغْنِي عنكِ مِن الله شيئاً**»[4] ، و هذا لا ينفي شفاعة النبي ﷺ لهم يوم القيامة و لا يقلل من فعاليتها ، و لكنه ﷺ

---

[1] عن عائِشةَ زوجِ النبِي ﷺ أن قُريشاً أهمهم شأنُ الْمرأةِ الْمَخزومِيةِ التِي سرقَت فِي عهدِ النبِي ، فِي غَزوةِ الْفَتحِ. فَقَالُوا: من يكلم فِيها رسولَ اللّهِ ؟ فَقَالُوا: ومن يجترِئُ عليْهِ إِلا أُسامةُ بن زيدٍ، حِب رسول اللّهِ ؟ فَأُتِي بِها رسولُ اللّهِ . فَكلمه فِيها أُسامةُ بن زيدٍ. فَتلَـون وجه رسول اللّه . فَقَالَ: «**أَتشفَع فِي حد مِن حدودِ اللّهِ يا أسامة؟**» فَقَالَ له أُسامةُ: استغفِر لِي، يا رسولَ اللّهِ . فَلما كَانَ الْعشِي قَامَ رسولُ اللّهِ فَاختطَب فَأَثْنى على اللّهِ بِما هو أهلُه، ثُم قَالَ: «**أَما بعد، فَإِنما أَهلَك الذِين مِن قَبلِكُم، أنهم كَـانوا إِذَا سـرق فِـيهِم الشرِيف، تركُوه، وإِذَا سرق فِيهِم الضعِيف، أَقاموا عليْهِ الحد، وإِني، والذِي نفْسِي بِيدِهِ لو أن فَاطِمةَ بِنت محمدٍ سرقَت لَقطَعت يدها**» . البخاري ٣٤٧٥ كتاب أحاديث الأنبياء ، مسلم ٤٣٦٥ كتاب الحدود .

[2] التوبة : ١١٣

[3] صحيح البخاري/٦٠٦٥ كتاب الأدب – باب كنية المشرك ، سبق ذكره في الفـصل الثالث تحت عنـوان (**زواج المـسلم مـن الكتابيات**).

[4] صحيح البخاري / ٤٦٥٣ - كتاب تفسير القرآن باب و أنذر عشيرتك الأقربين ، صحيح مسلم / ٤٥٧ - كتاب الإيمان بـاب و أنذر عشيرتك الأقربين .

يستحثّهم و المؤمنين كافةً لكي يكونوا جديرين بشفاعته أمام الله ؛ فلا يتكلون عليها[1] . و لذا يقول أبو بكر الـصديق ﷺ : (و الله لإن كانت إحدى قدمي في الجنة و الأخرى خارجها لا آمن مكر ربي) رغم أنه ثاني اثـنين إذ هـما في الغار و خليل رسول الله ﷺ و أحد العشرة المبشرين بالجنة ، و لكنه لا يتكل على ذلك حتى يتغمده الله برحمته و هـذا من حلاوة الإيمان و حلاوة القرب من الله ﷻ .

و من اكبر الأحاديث المثبته لشفاعة النبي ﷺ يوم القيامة هو حديث أبو هريرة ﷺ حينما سأل الـنبي ﷺ : يـا رسول الله ! من أحق الناس بشفاعتك يوم القيامة ؟ فقال رسول الله ﷺ : **« أسعد الناس بشفاعتي يوم القيامة من قال لا إله إلا الله خالصا من قلبه »**[2] .

اللهم نولنا حلاوة الإيمان بك و متعنا بفضل القرب منك يارب العالمين . اللهم آمين .

o **هل توجد شفاعة لغير النبي ﷺ ؟ :**

و لا يختلف المسلمون مع النصارى في مسألة شفاعة عيسى عليه السلام لهم كنبي من أنبياء الله فيقول الله تعالى في كتابه عن لسان نبيه عليه السلام : ﴿ **إِن تعذّبهم فَإِنهم عِبادك وإِن تغفِر لَهم فَإِنك أَنت الْعزِيز الْحكِيم** ﴾ [3] و هـذه و لاشـك شفاعة للذين اتبعوه منهم على دينه ، أما الذين أشركوا مع الله أحبارهم و رهبانهم ، و المسيح عليه السلام و أمه ، و ألحدوا في أسماء الله بغير علمٍ ، و حرفوا كتبه ، و قتلوا أنبيائه ، و قالوا على الله غير الحق و هم يعلمون ؛ أولئك مالهم من دون الله من ولي و لا شفيع إلا من أتى الله منهم بقلب سليم ، و الله تعالى أعلى و أعلم .

كذلك أنبياء الله يوم القيامة سيشفعون ، إن شاء الله ، فيمن اتبعوهم بإحسان ، و الملائكة أيضا تشفع في مـن قال لا إله إلا الله خالصا من قلبه كما قال الله ﷻ : ﴿ **يعلم ما بين أَيدِيهم وما خلْفهم ولا يشفَعونَ إِلاّ لِمن ارتضى وهم من خشيتِهِ مشفِقُونَ** ﴾ [4] ، و أيضا : ﴿ **يوم يقُوم الروح والملائكَةُ صفّاً لّا يتكلّمونَ إِلاّ من أَذِنَ لَه الرحمـَنُ وقَالَ صواباً** ﴾ [5]، و يشرح القرطبي فيقول : (.. وروى الضحاك عن ابن عباس قال: يشفعون لمن قال لا إله إلا الله. وأصل الصواب. السداد من القول والفعل، ... وقيل: لا يتكلمون يعني الملائكة والروح الذين قاموا صفا، لا يتكلمون هيبة وإجلالا إلا من أذن له الرحمن في الشفاعة وهم قد قالوا صوابا، وأنهم يوحدون الله تعالى ويسبحونه) اللهم بلغنا شفاعتهم جميعا .

---

[1] يخشى النبي ﷺ على أمته عاقبة الإتكال فيقول الحديث الشريف : عن معاذِ بن جبلٍ ﷺ ، قَالَ: كُنت رِدف رسول اللّـهِ ﷺ علـى حِمارٍ. قَالَ: فقَالَ: **«يا معاذُ! أَتدرِي ما حق اللّه على الْعِبادِ وما حق العِبادِ على الله؟»** قَالَ قُلْت: الله ورسولُه أَعلَم. قَالَ: **«فَإِن حق اللّهِ على الْعِبادِ أَنْ يعبدوا اللّهِ ولا يشركُوا بِهِ شيئا. وحق الْعِباد على اللّهِ عز وجل أَنْ لا يعذب من لا يشرك بِهِ شيئا»** قَالَ قُلْت: يا رسولَ اللّهِ! أَفلَا أُبشر الناس؟ قَالَ: **«لا تبشرهم. فَيتكِلوا»**. بخاري / ٢٧٩١ ، مسلم / ١٠٨ .

[2] صحيح البخاري / ٩٩ – كتاب العلم باب الحرص على الحديث .

[3] المائدة : ١١٨

[4] الأنبياء : ٢٨

[5] النبأ : ٣٨

كذلك يقبل الله ﷻ ، بإذنه ، شفاعة الشهيد في سبعين من أهله لقوله ﷺ في الحديث الشريف عن الْوليد بـن رباحٍ الذِمارِي ، قال: دخلْنا علَى أُم الدرداءِ ونحن أيتام فقالَت: أَبشِروا فإني سمِعت أبا الدرداءِ يقُولُ قال رسولُ الله ﷺ: « **يشفع الشهيد في سبعِين مِن أهل بيتِه** »[1] . و هذا من فضل منزلة الشهادة في سبيل الله و من النعيم الذي يعطى ذلك الذي جاد بنفسه في سبيله .

كذلك الشفاعة المعنوية للأعمال أمام الله ﷻ كشفاعة القرآن و الصيام ، كما نقرأ في الحديث الشريف عن أبي أُمامةَ الْباهِلِي ، قَالَ: سمِعت رسولَ اللّهِ يقُولُ: « **اقْرأوا الْقُرآنَ. فَإِنه يأْتِي يوم الْقِيامةِ شفِيعاً لأَصحابِهِ..** »[2]، و يأتي شرح لكيفية هذه الشفاعة في الحديث التالي : عن عبد الله بن عمرو أن رسول الله ﷺ قال: «**الصيام والقُرآنُ يشفعان للعبدِ يوم القيامةِ، يقولُ الصيام : أي رب منعته الطعامُ والشهواتِ بالنهارِ فَشفعني فِيه، ويقولُ القُـرآنُ : أي رب منعته النوم باللّيل فَشفعني فيه، قَالَ: فَيشفعان** »[3] .

و هذا عن شفاعة الأعمال فماذا عن الجوارح ؟.. ؛ فيوم القيامة تشهد على المرء جوارحه في فعـل الآثـام و المعاصي ، و لكن في الخير فإنها تشهد له و تشفع فيه عند الخالق ﷻ بإذنه . اللهم و لا تحرمنا تلكُم الشفاعة . آمين .

هذا عن ما يقرره القرآن الكريم و السنة الشريفة عن عقيدة أهل السنة و الجماعة بالنسبة لمسألة الشفاعة .. فأين هي مِن عقيدة النصارى كما أسلفنا ذكرها ، و التي قال المؤلف أن الإسلام يقر بصحتها ؟!!

الخلاصة :

- يقر أغلب أئمة أهل السنة و الجماعة بمفهوم الشفاعة يوم القيامة ، يوم لا ينفع مال و لا بنون إلا من أتـى الله بقلب سليم . و حق هذه الشفاعة لله تعالى فقط ينعم بها على من يشاء من عباده الصالحين ، كما نتعلّم مـن القرآن و كذا من السنة الصحيحة .
- للنبي ﷺ الشفاعة العظمى ، إن شاء الله ، يوم القيامة بأن يشفع فيمن يستحق شفاعته من أمته أن يتجـاوز الله عن أخطائه و يدخله الجنة ، كما له شفاعة أن يستأذن الله ﷻ يوم القيامة ببدء الحساب ، كما له شفاعة أن يكون أول من يفتح أبواب الجنة فيدخلها من أمته عباد الله الصالحين .
- للأنبياء صلوات ربي تعالى و سلامه عليهم جميعا ، بإذن الله ، شفاعة فيمن اتبعوهم بإحسان أن يتغمـدهم الله برحمته و يتجاوز عن سيئاتهم و يرضى عنهم و يدخلهم جنات النعيم ، و لعيـسى عليه السلام بـالأخص شـفاعة مذكورة في القرآن الكريم بأنه سيشفع لأصحابه و تابعيه على دينه أن يتجاوز الله عن حسابهم فهو ﷻ العزيز على أمره الحكيم في صنعه لا إله إلا هو رب العرش العظيم .

---

[1] سنن أبي داوود / ٢٥٢٣ – كتاب الجهاد باب الشهيد يشفع ، صحيح ابن حبان / ٤٥٧٠ كتاب الجهاد باب فضل الشهادة .
[2] صحيح مسلم / ١٨٢٤ – كتاب صلاة المسافرين باب فضل قراءة القرآن .
[3] مسند الإمام أحمد / ٦٦٠٩ – مسند عبد الله بن عمرو .

- للملائكة أيضا ، بأمر الله و فضله ، شفاعة يوم القيامة فيمن قال لا إله إلا الله خالصة من قلبه و من ارتـضى بغير الله ربا و ما اتخذ دونه وكيلا .
- للشهداء في سبيل الله و الصالحين أيضا ، تفضلا و منةً من الله ﷻ ، شفاعة في سبعين من أهلهم إذا كانوا أهلاً لهذه الشفاعة . اللهم بلغنا جميعا شفاعة نبيك الكريم صلوات ربي و سلامه عليه إلى يوم الدين و اجعلنا أهـلا لهذه الشفاعة ، و بارك لنا في أهلينا عسى أن يكون منهم من تنجينا شفاعته يوم الكرب العظيم ، اللهم آمين .

المبحث الخامس :

الكفّارة بين الإسلام وعقيدة النّصارى

***

عن النبي ﷺ أنه قال : « يقول الله ﷻ: يا ابن آدم إنَّك مَا دعوْتني ورجوْتني غفَرْتُ لك على ما كان فيك ولا أُبالي . يا ابن آدم لوْ بلغت ذنوبك عنان السّماء ثمّ استغْفرْتني غفرْتُ لك ولا أُبالي . يا ابن آدم إنَّك لوْ أتيْتني بقراب الأرْض خطايا ثمّ لقيتني لا تُشْرك بي شيْئاً لأتيْتك بقرابها مغْفرةً » .

حديث شريف

يقوم أساس العقيدة عند النصارى على مفهوم صلب المسيح و سفك دمه ليكفر عن خطايا البشر جميعا التي ارتكبوها حتى قيام الساعة فيطهرهم من أغلال خطيئة أبيهم آدم و خطاياهم جميعا ، و لذا فإن حادثة الصلب عند النصارى تعتبر من أهم أحداث المعمورة قاطبة ، و كذلك المسيح الذي جرح جسده لأجل معاصيهم و سحقت عظامه لأجل آثامهم . و يجب على النصراني لكي ينعم بالتحرر من أغلال الخطيئة فقط أن يؤمن بالمسيح ربا و مخلصا .

- **كيف تولدت عقيدة الكفارة ؟:**

يؤمن النصارى بأن الله ﷻ قد خلق آدم عليه السلام على صورته و كهيئته كما تقول التوراة ؛ و لذا فقد كانت له صورة من الكمال الأخلاقي مقتبسة من كمال الله الأخلاقي ، و يؤمنون أيضا بأنه كان مقدر له الخلود كربه تماما . فلما أسكنه الجنة هو و زوجته أمرهما ألا يقتربا من الشجرة المحرمة و لا يأكلا منها ، فلما أزلهما الشيطان و وسوس لهما بالأكل من الشجرة و علم الرب بذلك غضب عليهما و طردهما من الجنة و أسكنهما الأرض و فرض عليهم الموت و العقاب الأبدي بالطرد من رحمة الرب و ذريتهما أيضا .

و أرسل لهم بعد ذلك رسلا منهم لهدايتهم إلى طريقه المستقيم ، و لكن أولئك الرسل أيضا - كما يعتقد النصارى – لم يستطيعوا أن يصلوا بالناس و لا بأنفسهم إلى تلك الصورة الأولى من الكمال الأخلاقي و التي ترضي الرب الإله فإنزلقوا في شرك الخطايا بفضل الطبيعة البشرية الخطاءة الموروثة من أبيهم آدم عليه السلام .

و لأنهم يؤمنون أيضا بترسخ صفة العدل في الله ﷻ فلابد من أن يقتص من أولئك البشر المخطئين ، و لأن الخطأ عندهم لا كبير فيه و لا صغير ؛ فأي خطأ يرتكبه الإنسان كبيرا كان أو صغيرا يورده مورد الهلاك و يكتب عليه الطرد من رحمته تبارك و تعالى ، و هو – أيضا كما يرون – عقاب رادع مهلك لا يتفق مع رحمة الله ﷻ و لهذا فهم يرون أنه لكيلا يتعارض عدل الرب مع رحمته فلا بد من كفارة أو ذبيحة كبيرة أو فدية تتمم مطلب العدل من الرب .. و من ذا الذي يقدر عليها من جنس البشر؟.. لا أحد طبعا يقدر على ذلك ، و لا زلنا نتكلم عن لسانهم ، فكانت رحمة الرب الإله أن يرسل إبنه أو عقله الناطق أو نفسه بنفسه[1] ينزل و يتجسد في صورة بشر ، و يعيش بينهم حياة كريمة لا يخطيء خلالها خطأ واحدا ، ثم يتعذب و يتألم و يموت في النهاية لكي يكون هو الذبيحة التي تفدي جنس البشر الذي أحبه الرب الإله يوم خلق آدم عليه السلام ، فيمحي أخطاء الأنبياء الذين سبقوه و يخرج بهم من ظلمات الجحيم ، و كذلك يتغاضى عن أخطاء البشر السابقين و أيضا كل المؤمنين به بعد ذلك إلى أن يأتي يوم القيامة فيجلس ليدين الخلق و يرحم من آمن به و يهلك من لم يؤمنوا به و بذا فلا تتعارض الرحمة مع العدل !.. هذا هو ملخص إيمانهم بالمسيح كفادي و مخلص .

---

[1] و ذلك حسب معتقدات طوائف النصارى المختلفة .

o مفهوم الخطيئة الأولى في التوراة :

في بداية الزمان – كما تقول التوراة – خلق الله السماوات و الأرض و ما بينهما ، و بعد ذلك خلق آدم و حواء ، ثم أنعم عليهما بهبات كثيرة منها أنه خلق الأنسان كصورته و على شبهه و سلطه بعد ذلك على جميع المخلوقات من حيوانات و طيور و أسماك ، و بعد ذلك أسكنه الجنة هو و زوجته .. و لنا أن نقف قليلا و نتساءل : ما معني (نعمل الإنسان على صورتنا كشبهنا) ؟.. أي كيف يكون آدم على صورة الله ؟!..

أفي الشكل مثلا ؟.. فيكون للرب رأس و بدن و ذراعين و يدين و رجلين و خلافه !.. فيكون الله أشبه بصورة مايكل أنجلو في كاتدرائية القديس بطرس (خلق آدم) !.. تعالى الله ﷻ عن ذلك علوا كبيرا .

أفي القدرة ؟.. فيكون له العقل الذي يتسع لكل شئ و يشمل كل شئ بما في ذلك خلق الكائنات و تقدير حياتها و أرزاقها و بالطبع محاسبتها على أفعالها إن خير فخير و إن شر فشر ، ... و هذا بالطبع ليس آدم !

أم في العقل ؟.. فيكون له التمييز بين الخير و الشر .. و ترى التوراة أنه أيضا ليس آدم بدليل أن ربه نهاه عن أكل الشجرة لكي لا يميز بين الخير و الشر دليلا على أنه لم يكن يعرفهما !!..

فكيف يكون خلق آدم على صورة الله ؟.. و من أي وجه ؟!!

الواقع أن الرواية التوراتية تتحدث عن الذات الإلهية بما لا يليق وشمولية علم الله ﷻ وتنزهته ، كمسألة خلق الله لآدم على صورته فهو ﷻ ليس كمثله شئ كما تقول التوراة : (**ليس مِثْل اللهِ**)[1] ، و أيضا فهي تنسب إليه العجز فتقول : (**وسمِعا صوت الرب الإِلهِ ماشِياً فِي الْجنةِ عِند هبوبِ رِيحِ النهارِ فَاختبأَ آدم وامرأته مِن وجهِ الرب الإِلهِ فِي وسطِ شجرِ الْجنةِ. فَنادى الرب الإِلهُ آدم: «أين أنت؟».**)[2] ، فسؤاله هنا كما نرى ليس سؤالاً تقريرياً ، وليس تأنيبياً ، بل هو استفهامياً صدر عن عاجز عن الوصول إلى من توارى عنه حين سمع وقع أقدامه ، تعالى الله أيضا عن ذلك علوا كبيراً .

و تكمل الرواية التوراتية فتقول : إن الحية هي التي أغوت حواء فأغوت بدورها آدم فأكلا من الشجرة . و يقول النصارى أن الحية رمزا للشيطان كما ورد في سفر الرؤيا ٢٠ : ٢ (**فَقبض على التنينِ، الْحيةِ الْقَدِيمةِ، الذِي هو إِبلِيس والشيطَانُ، وقَيده أَلْف سنةٍ**) . إذن ، فقد تمثل الشيطان في شكل الحية و بذلك استطاع أن يغوي آدم و حواء و عندما أراد الرب أن يعاقبهما عاقب الحية أيضا و لم يعاقب الشيطان !! ، فقال لها : (**لأنكِ فَعلْتِ هذَا ملْعونةٌ أَنتِ مِن جمِيعِ الْبهائِمِ ومِن جمِيعِ وحوشِ الْبريةِ. على بطْنِكِ تسعِين وتراباً تأْكُلِين كُلَّ أَيامِ حياتِكِ. وأَضع عداوةً بينكِ وبين الْمرأَةِ وبين نسلِكِ ونسلِها. هو يسحق رأسكِ وأَنتِ تسحقِين عقِبه**)[3] ، و أيضا نقرأ في بداية الإصحاح

---

[1] سفر التثنية ٣٣: ٢٦
[2] سفر التكوين ٣: ٨-٩
[3] سفر التكوين ٣ : ١٤-١٥

أيضا : (**وكانتِ الْحيةُ أحيلَ جِميعِ حيواناتِ الْبريةِ الِتي عمِلَها الرب الإِله ...**)[١] ، فنرى أن النص يتكلم عن حية حقيقية و ليس رمزا للشيطان كما يقول المفسرون !! فما هو ذنب الحية إذا كانت الغواية من الـشيطان ؟!.. و هـل كانت الحية مستوية القامة حسنة المظهر ذات أقدام ، صديقة لحواء فعوقبت بزحفها على بطنها و أكلـها التـراب و عداوتها للمرأة و نسلها ؟!..

فالمطالع للتوراة - دون الإنجيل - لا يجد فيها ذكر للشيطان أبدا و لا للغواية التي تأتي منه ، و لا يوجد كذلك ذكرا للدار الآخرة و لا للحساب و الجزاء ، و لكن هي حياة دنيوية فقط و جزاء فوري !

ويبقى السؤال الأهم : ما هي معصية آدم ؟.. وتأتي الإجابة التوراتية واضحة ، لقد أكل من الشجرة المحرمة هو و زوجته ، شجرة معرفة الخير والشر، لقد عرفا الخير والشر!.. فماذا ترتب على هذه المعرفة من ثمرة؟.. لا يذكر النص التوراتي لهذه الفعلة أثراً سوى أن آدم وحواء عرفا بأنهما عريانين، إذ انكشفت لهما الأمور بمعرفتهما للخير والشر . وثمة مسألة أخرى هامة من الذي يتحمل وزر الذنب آدم أم حواء ؟.. يذكر النص التوارتي ما يفهم منه براءة آدم من غواية الحية وإدانة حواء بها، ففيه أن حواء التي أغوتها الحية فأكلت[٢] وكأن آدم ليس بصاحب قرار و لا يملك من أمر نفـسه شيئا و هو أيضا أمر متناقض !

و نأتي لموضوع الخلود الذي فرضه الله لآدم و زوجته – برواية التوراة – في جنة عدن ، ثم رفَضه آدم بأكْله من الشجرة و اختار الموت عن الخلود !.. فواقع الأمر أن مسألة الخلود لآدم و ذريته هو منافي لمسألة عمران الأرض الذي خلق آدم من أجلها ، فلنتخيل سويا إذا ظل كل الخلق حتى اليوم على قيد الحياة منذ البدء و حتى قيام الساعة ، فكيف يكون عمران الأرض ؟ بل كيف يكون شكلها ؟..و لو عاش آدم و ذريته في الجنة فلم خلقت الأرض في اليـوم الأول كما ذكرت التوراة ؟.. فالأمر جد متناقض ، و لكن التوراة بعد ذلك تقول : (**وقالَ الرب الإِله: «هوذَا الإِنسانُ قَد صار كَواحِدٍ مِنا عارِفاً الْخير والشر. والآنَ لَعله يمد يده ويأخذُ مِن شجرةِ الْحياةِ أيضاً ويأكُلُ ويحيا إِلَى الأَبدِ». فَأخرجه الرب الإِله مِن جنةِ عدنٍ لِيعـملَ الأرض الِتي أُخِذَ مِنها**)[٣] ، و الموضوع هنا يتضح أكثر ؛ فما كانت إرادة الرب أن يعطي لآدم الخلود إذن كما تقول التوراة في موضع أخر !.. بل أنه يغـار منه لأنه سيصبح (كواحد منا) !! و هو أيضا شيء غير مفهوم و متناقض و ينم عن جهل الرب – في نظر التوراة – بالمستقـبل ؛ فهو لم يعلم بأكل آدم من الشجرة إلا عندما أكل ، و بعد ذلك يفترض بأنه (لعله) يمد يده لشجرة الحياة و يأكل و كأنه أيضا لا يعلـم إن كان سيأكل أم لا !.. سبحانه لا إله إلا هو علام الغيوب عما يصفون ، فأين الحقيقة إذن ؟!..

---

[١] سفر التكوين ٣: ١
[٢] راجع ما هو مكتوب في سفر التكوين ٣: ٦ و ٣: ١٢
[٣] سفر التكوين ٣ : ٢٢ - ٢٣

- **و ماذا يقول الإسلام ؟ :**

و إذا درسنا وجهة النظر الإسلامية لمسألة خلق آدم يتضح لنا جليا مقصد الحق تبارك و تعالى من ذلك ؛ فما كانت الجنة التي سكن فيها آدم و زوجه إلا مكانا مؤقتا للإقامة ؛ و ما خلِق الإنسان لعمران الجنة بل لعمران الأرض و نشر عبادة الله الواحد الأحد بها . و لكن إقامته في الجنة كانت بغرض تدريبه و تعليمه طاعة أوامر ربه و لإعلامه بالمعصية و كيفية الإستغفار منها . و ما سمح الله ﷻ للشيطان - الذي قد يتساءل الكثير عن كيفية دخوله الجنة على صورته و دون أن يتمثل بشكل الحية ؟ - إلا لغواية آدم فيعلمه الطاعة أولا ثم التمييز بين الهداية و الغواية ثانيا . فقد أمر الله ﷻ آدم أن يأكل من كل شجر الجنة إلا الشجرة التي تنبت ثمرا مختلفا ، فما كان آدم محتاجا لقضاء حاجته إذ أن شجر الجنة للأكل فقط دون قضاء حاجة ، و لم تكن الشهوة بينه و بين حواء قد عرفت بعد ؛ فلم يكن يداري عورته لأنها كانت بالنسبة له مثل أي جزء من أجزاء جسمه . فلما أكل آدم من الشجرة و احتاج أن يقضي حاجته و تأذى من المنظر فطفق يستر عورته التي صار منظرها يؤذيه و يذكره بعصيان أمر الله ﷻ : **فَدلاّهما بغرورٍ فلما ذاقا الشجرةَ بدت لهما سوءَاتهما وطَفِقا يخصِفَان عليهما مِن ورق الْجنةِ وناداهما ربهما ألم أنهكما عن تلكما الشجرةِ وأقل لّكمآ إِنّ الشيطآنَ لَكما عدوٌ مبينٌ** [1] ، و كما هو واضح أن الإستفهام هنا توضيحي تقريري ينم عن سابق علم بما سيكون . و لأن الموقف أساسا المراد منه تعليم آدم فقد تاب الله عليه ، ليس فقط بل و علمه الإستغفار لذنوبه و العودة إلى الطريق الذي رسمه له و لذريته من بعده **فَتلقّى آدم مِن ربهِ كَلمـاتٍ فَتاب عليـهِ إِنـه هـو التواب الرحِيم** [2] ، و تلك هي رسالة آدم عليه السلام التي خلِق من أجلها : ألا و هي عمران الأرض بشريعة الله و حسب إرادته .

و الآن ، و بعد رحلتنا مع مسألة (**الخطيئة الأولى**) لنا أن نقول : أنه لولا تلك الخطيئة لما تعلم آدم عليه السلام و ذريته أن هناك رحمة و هناك مغفرة للذنوب جميعا مهما بلغت كزبد البحر و نجوم السماء ، و في الحديث الشريف عن أنس بن مالك رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال : **« يقول الله ﷻ: يا ابن آدم إِنك ما دعوتِني ورجوتِني غَفَرت لَك على ما كانَ فِيك ولاَ أُبالِي. يا ابن آدم لو بلغت ذُنوبك عنانَ السماءِ ثُم استغفَرتِني غَفَرت لَك ولاَ أُبالِي. يا ابن آدم إنك لَو أَتيتني بِقُرابِ الأَرض خطايا ثُم لَقِيتِني لاَ تشرك بي شيئاً لأَتيتك بِقُرابِها مغفِرةً »** [3] . و أيضا عن أنس رضي الله عنه ، عن النبي ﷺ أنه قال : **«كل ابن آدم خطاء، وخير الْخطائِين التوابون»** [4] . فالخطأ من آدم و ذريته وارد ، و لكن الأعظم منه الإستغفار و التوبة ، و الأعظم من هذا كله هي رحمة الله التي وسعت كل شيء فإنه تبارك و تعالى يفرح بتوبة

---

[1] الأعراف : ٢٢

[2] البقرة : ٣٧

[3] سنن الترمذي / ٣٦٨٠ – كتاب الدعوات باب في فضل التوبة و الإستغفار ، سنن الدرامي / ٢٧٨٧ – كتاب الرقائق باب إذا تقرب العبد إلى الله .

[4] سنن الترمذي / ٢٥٤٧ – كتاب صفة القيامة ، مسند الإمام أحمد / ١٢٧٥٧ – مسند أنس رضي الله عنه .

العبد كما يروي أنس ﷺ قال: قال رسولُ الله ﷺ : **« إنّ اللهَ أفرح بتوبة عبده من أحدكم سقط على بعيره وقد أضله في أرض فلاةٍ »**[1] .

فسبحانه جل علاه لا إله إلا هو قابل التوب غفار الذنب نستغفره و نتوب إليه و نتضرع له أن يقبل توبتنا جميعا قبل أن يأتي يوم يفر المرء فيه من أخيه و أمه و أبيه و صاحبته و بنيه ، اللهم آمين .

o ﴿ .. وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ .. ﴾ :

و يشبه المؤلف ما أسماه بفدية المسيح لشعبه ذلك الكبش الذي أنزله الله ﷻ من السماء ليفتدي به ابن ابراهيم الذبيح عليهما أفضل الصلاة و السلام ؛ فكليهما كان فدية عن الإنسان ، و لعل هذا ما دعا كاتب سفر الرؤيا أن يشبه عيسى عليه السلام بالخروف الفادي !! و رغم أن هذا الجدل فلسفي بحت قابل للتأويل على آية شاكلة ، ألا أنه يصور للقاريء كيف شرع النصارى يستدلون على صحة عقيدتهم بأي شيء من العهد القديم حتى و لو لم يكن أصلا يدل عليه !.. فالقاريء يعلم تماما أن قصة الفداء كانت ابتلاء لنبي الله إبراهيم عليه السلام و لإبنه و قد كانا عند ظن ربهما و صبرا على حكمه إلى أن تم أمرا قضاه الله ، و ليس لذلك أي تأويل أخر و لا هو تمثيل لما قد يحدث في المستقبل و لو بصورة رمزية . و مثل هذا كثير على صفحات العهد الجديد ، و لكنه ليس بموضوعنا كما أنه لا تتسع له تلك الدراسة المتواضعة . فقط دعونا نتساءل : كيف عالج القرآن الكريم قضية صلب المسيح ؟

يقول الله تعالى عن اليهود : **﴿ فبما نقضهم ميثاقهم وكفرهم بآيات الله وقتلهم الأنبياء بغير حق وقولهم قلوبنا غلف بل طبع الله عليها بكفرهم فلا يؤمنون إلا قليلا ۝ وبكفرهم وقولهم على مريم بهتانا عظيما ۝ وقولهم إنا قتلنا المسيح عيسى ابن مريم رسول الله وما قتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم وإن الذين اختلفوا فيه لفي شك منه ما لهم به من علم إلا اتباع الظن وما قتلوه يقينا ۝ بل رفعه الله إليه وكان الله عزيزا حكيما ۝ وإن من أهل الكتاب إلا ليؤمنن به قبل موته ويوم القيامة يكون عليهم شهيدا ﴾**[2] ، و لا اختلاف بين أهل الفقة و المفسرين و الأئمة أن عيسى عليه السلام لم يتمكن اليهود و لا غيرهم من قتله على الصليب كما دبروا له ، و إنما الذي صلِب هو شبيه المسيح الذي ألقى الله ﷻ عليه الشبه و مكّن منه أعدائه من اليهود ، و كان من ذهبوا هذا المذهب الحافظ ابن كثير و من نقل عنهم كابن اسحق و سفيان الثوري و الحسن البصري و غيرهم . و لم يسجل التاريخ الإسلامي لأحد الفقهاء رأي مخالف في مسألة صلب المسيح عليه السلام لما رواها القرآن ؛ إذ أن نقد الصلب واضح بقوله ﷻ : ﴿ .. **وما قتلوه وما صلبوه .. وما قتلوه يقينا** ﴾ و في هذا نفي تام قاطع للقتل . و قد نفت آيات أخرى عملية الصلب كقول الله تعالى مخاطبا نبيه عيسى عليه السلام : ﴿ .. **وإذ كففت بني إسرائيل عنك إذ جئتهم بالبينات فقال الذين كفروا منهم إن هذا إلا سحر مبين** ﴾[3] ، و يقول الحافظ ابن كثير شارحا الآية السابقة : (أي واذكر نعمتي عليك

---

[1] صحيح البخاري / ٦١٦٤ – كتاب الدعوات باب التوبة .

[2] النساء : ١٥٥ : ١٥٩

[3] المائدة : ١١٠

في كفي إياهم عنك حين جئتهم بالبراهين والحجج القاطعة على نبوتك ورسالتك من الله إليهم فكذبوك واتهموك بأنك ساحر وسعوا في قتلك وصلبك فنجيتك منهم ورفعتك إلى وطهرتك من دنسهم وكفيتك شرهم ..) ، و يقول القرطبي أيضا : ("كففت" معناه دفعت وصرفت "بني إسرائيل عنك" حين همّوا بقتلك "إذ جئتم بالبينات" أي الدلالات والمعجزات، ..) . و يؤكد المولى تبارك و تعالى على جهل اليهود بحالة المصلوب فيقول : ﴿ **.. وإنّ الّذِين اختلفُواْ فِيهِ لَفِي شك منه ما لَهم بِهِ مِن عِلْمٍ إلاّ اتباع الظّن ..** ﴾ و هذا يؤكد عدم وجود سند صريح بأيدي اليهود و لا النصارى في دعواهم بصلب عيسى ﷺ ، فما قالوا بشأنه الكذب و هم يعلمون ؛ فإن أي تفسير أو رأي يقال في هذا سواء من الكتاب المقدس أو من طوائف النصارى المختلفة لهو رجم بالغيب و ضرب من الظن بعد أن تركه الجميع و هربوا بشهادة الأناجيل فأين هو اليقين ؟.. و تأتي الإجابة الواضحة : ﴿ **.. وما قَتلُوه يقيناً** ﴾ .

و لكن المؤلف و غيره من النصارى يعترضون - طبعا - على هذا ، و يحاول المؤلف بمكر أن يمسك بعصا النقاش من منتصفها فيقول تعليقا على الأيات السابقة : (*... فهي إنما تكذب اليهود في قولهم: إنا قتلنا المسيح لأنهم لم يقتلوه ولم يصلبوه، فما كانوا يملكون ذلك أو يقدرون عليه، فلم يكن لهم السلطان والحكم أيام المسيح ، وإنما كان الفاعل هو الوالي الروماني إذ كانت السلطة منزوعة من أيدي اليهود وقتئذ، وكان الرومان هم أصحاب الشأن في البلاد اليهودية. فلما نفذ جنود الرومان الحكم، شبه لليهود أنهم قتلوا المسيح، لأنهم كانوا المشتكين عليه وطالبي صلبه، فلما أجيبوا إلى ما طلبوا شبه لهم أنهم هم الفاعلون.*) ....!!!!!

و لا تعليق طبعا فغرابة هذا التفسير لا تحتاج تعقيب ....!!

o أهمية إبطال صلب المسيح ﷺ عند المسلمين :

كما أسلفنا يعتقد المسلمون أن الأنبياء عليهم صلوات الله و سلامه كسائر البشر يموتون ، وقد يكون موتهم عن طريق القتل ، ويحكي القرآن عن بني إسرائيل بأنهم كانوا يقتلون الأنبياء بغير حق ، ومن ثم فلا حرج عندنا في موت نبي بأي طريقة قتله بها سفهاء قومه ومجرموهم ، فالقتل لا يضر النبي المقتول ، بل هو من اصطفاء الله له ، إذ هو شهادة في سبيل الله ودينه ، و لكن عندما نتعرض لقصة عيسى ﷺ نتساءل : لماذا ذكر القرآن نجاة المسيح ، وأصر على تكذيب النصارى في هذه المسالة ؟

و الإجابة ببساطة : إن القرآن الكريم ذكر نجاة المسيح لمجرد إثبات الحقيقة ، وإثبات ضعف وعجز اليهود عن بلوغ مرامهم ، والمسلمون حين يتحدثون عن نجاة المسيح إنما يريدون إثبات هذه الحقيقة التي بشر بها القرآن الكريم بعد أكثر من ستمائة عام من حدوثها . وأيضاً أدرك علماء المسلمين الخطر التي تركته حادثة الصلب ، والتي تحولت من مجرد حدث تاريخي إلى عقيدة ، عظيم شأنها عند النصارى، فتقويضها يعني خواء النصرانية عن كل معنى ، لذا يؤكد العلامة ديدات أن النصرانية لا تستطيع أن تقدم للناس أي فضيلة، سوى ما تزعمه من الخلاص بدم المسيح، فهي مثلاً لا تستطيع أن تقدم لنا نحن المسلمين الكرم أو النظافة أو.... فإذا ما بطل صلب المسيح، لم يبق للنصرانية مبرر للدعوة

والوجود . وفي الآثار العقدية السلبية لفكرة الصلب ما يجعلها هدفاً للمسلمين ينبغي التركيز عليه، ومن هـذه الآثـار الاضطراب في نظرة النصارى للإله[١] .

و نردد مع الشيخ شهاب الدين القرافي[٢] رحمه الله ما أنشده في كتابه « الرد على النصارى » لبعضهم يرد عليهم في قولهم: صلبنا المسيح و دعواهم أنه ابن الله تعالى الله عن قولهم علواً كبيراً :-

عجباً للمسيح بين النـصارى *** وإلى أي والـدٍ نسـبوه
أسلموه إلى اليـهودِ وقالـوا *** إنهم بعد قتْـلِهِ صـلبوه
فإذا كانَ ما يقولـون حـقاً *** وصحيحاً فأين كانَ أبوه؟!
حين خلّى ابنه رهين الأعادي *** أتراهم أرضوه أم أغضبوه؟
فلِئن كان راضياً فاحمـدوهم *** لأنـهـم واقـقـوه!
ولِئن كانَ ساخطاً فاتـركوه *** وأعبدوهم لأنهم غَـلبوه!!

o الخلاصة :

- إن ما يعتقده النصارى في موضوع (الخطيئة الأولى) لا أساس له في الأسلام ، لأن القرآن الكريم و الـسـنة الشريفة تعلمنا ألا تزر وازرة وزر أخرى ، و لا يعاقب أحد بخطايا أبيه و لا جرائمه ، و أن بـاب التوبـة و الإستغفار مفتوح لآدم و ذريته حتى خروج الروح مع أخر نفَس و لو كانت ذنوبك مثل زبد البحر و نجـوم السماء ؛ فالله ﷻ يفرح بتوبة العبد أكثر من فرح الأم بلقاء وليدها الضال ، و هذا من رحمته بالعبـاد الـتي سبقت غضبه لا إله إلا هو سبحانه إنا كنا من الظالمين ، اللهم تب علينا و اقبل توبتنا قبل فوات الأوان يارب العالمين .
- لا يوافق القرآن الكريم على عقيدة الصلب التي بني عليها النصارى دينهم ، بل ينفي ذلك نفيـا قاطعـا ، و يوضح أيضا أن القائلين بالصلب – و لا نعني عموم النصارى بل نعني واضعي تلك العقيدة - لا يستندوا إلى دليل بين بل هو الظن البحت الذي لا يملكون من العلم سواه ، أما اليقين أنهم ما قتلوه أبدا و لا صـلبوه و لا مسوه بأذى صلوات ربي و سلامه عليه .
- يدافع المسلم عن رأيه في إبطال ما يقوله النصارى بصلب عيسى عليه السلام دفاعا مستميتا لإحقاق الحق ، و لإثبات تلك الحقيقة التي جاء بها القرآن الكريم ، أيضا لإثبات كذب تلك الحادثة التي تحولت مع الوقت إلى عقيـدة يضل بها النصارى أتباعهم ، و لا يتخذ المسلمون المضلين عضدا .

---

[١] هل أفتدانا المسيح على الصليب ؟ - د. منقذ محمود السقار (بتصرف) .

[٢] البداية و النهاية لإبن كثير ١٩٩/٢ – فصل (ذكر صفة عيسى عليه السلام و فضله و شمائله) – و قد أشار محققو المطبوعة إلى أن تلـك الأبيات سقطت من نسخ المجلد و المصورة من مكتبة ولي الدين باستانبول .

. . . وبعد ،،،

ها نحن قد وصلنا سريعا إلى ختام هذه الدراسة ، و أقول أنه ما كانت بي حاجة إلى كتابتها لولا ما وجدت في أيدي أخواني من المسلمين مما كتبه النصارى في صورة تحدٍ سافر و طعن غير حميد في الإسلام و القرآن . كذلك مـا قصدت بهذه الدراسة التعرض لعقيدة النصارى على الإطلاق ؛ فما أمرنا الإسلام بذلك بل أمرنا بإحترام الآخرين و ألا نطعن في عقائدهم ، و عند الدعوة أو الدراسة نتجرد للحق ، و نتبرأ من الخطأ لا من المخطيء ، و أن يكون الجـدال بالتي هي أحسن و في سبيل تمحيص الحق و إخلاص الدين لله .

و لعل حقائق هذه الدراسة – أيها الطاعنون في الإسلام - و التي اضطررتمونا إليها ، و ما كشف لكم عن أن ما قصدتم التعرض به لطعن القرآن الكريم و السنة إنما هو سراب ليس له وجود ، على نحو ما بينت هذه الدراسـة ، و لتعلموا أيضا أن المسلمين على علم تام بما عندكم من نقائص و مع ذلك لا يبدئوكم بسوء و لا بطعن و هذا هو خلق الإسلام ، عسى أن يكون منـكم ذو إنصاف يهدي إلى الرشد و يبرأ من دنية التجريح الأثيم اللهم آمين .

و أوجه كلمة خاتمة لإخواني من المسلمين بعد قراءة هذه الدراسة ، و هي أن معرفة ما عند النصارى من النقص إنما هو ضروري لمزيد من الفهم للإسلام و اليقين بنعمة الله التي أنعمها علينا جميعا ، و أنه ينبغي لقليلي الدراية منـهم بالإسلام ألا يقرأوا إلا القرآن الكريم و السنة النبوية الشريفة و الكتب التي تتكلم عنهم حتى لا يمكنوا أعداء الدين مـن تشكيك المسلمين في أعز ما عندهم : ألا و هو الإيمان .

و في النهاية أقول عن نفسي أن ما كتبته في هذه الدراسة لهُو من القرآن و السنة فقط ، و ليست هناك مصادرا أخرى ، و قد اجتهدت أن أقول أرائي في بعض الموضوعات إلى جانب ذلك ، و استأنست بأراء كبـار الكتـاب و المفكرين الإسلاميين . فلا أدعي لنفسي العصمة و الله وحده أعلم بالصواب و هو علاّم الغيوب ، فإن أصبت فبهديـه ﷻ و إن أخطأت فكان من نفسي .. و هو وحده لا إله إلا هو أهل التقوى و المغفرة و أسأله ﷻ الهداية و السماح .

اللهم أرنا الحق حقا و ارزقنا اتباعه و أرنا الباطل باطلا و ارزقنا اجتنابه ، و اكتب لنا الهدايـة و الـصلاح ، و اهدنا و اهد بنا إلى سواء السبيل يا رب العالمين .

و آخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين ، و صلى الله على سيدنا محمد و على آله و صحبه و سلم .

و السلام عليكم و رحمة الله و بركاته ،،،

حازم محمد الشناوي

engi_build@hotmail.com

المراجـــع

١. القرآن الكريم .

كتب السنة الشريفة :

٢. صحيح البخاري ٤ أجزاء طبعة مكتبة الإيمان بالمنصورة – مصر
٣. صحيح مسلم – نسخة رقمية – مركز التراث للحاسب الآلي .
٤. مسند الإمام أحمد – نسخة رقمية – مركز التراث للحاسب الآلي .
٥. سنن الترمذي – نسخة رقمية – مركز التراث للحاسب الآلي .
٦. سنن ابن حبان – نسخة رقمية – مركز التراث للحاسب الآلي .
٧. سنن الدرامي - نسخة رقمية – مركز التراث للحاسب الآلي .
٨. رياض الصالحين من كلام سيد المرسلين للإمام النووي – طبعة مكتبة أبو بكر الصديق بالقاهرة – مصر

كتب التفسير :

٩. تفسير ابن كثير – للحافظ ابن كثير ٤ أجزاء
١٠. تفسير القرطبي – للإمام القرطبي ٢٠ جزء – دار الغد الجديد – مصر
١١. تفسير الجلالين – مكتبة مدبولي – مصر

كتب السيرة :

١٢. قصص الأنبياء – للحافظ ابن كثير طبعة مكتبة الإيمان بالمنصورة – مصر
١٣. السيرة النبوية – لابن هشام ٤ أجزاء طبعة دار الغد الجديد بالمنصورة – مصر

كتب أخرى :

١٤. الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح للإمام ابن تيمية – ٤ أجزاء طبعة دار الحديث القاهرة .
١٥. سلسلة الهدى و النور (٥ كتب) للدكتور منقذ محمود السقار – الناشر : (شبكة صـيد الفوائـد الإسلامية) .
١٦. التوراة – د. مصطفي محمود الطبعة الخامسة – دار المعارف بمصر .
١٧. هداية الحيارى في أجوبة اليهود و النصارى لإبن قيم الجوزية – دار ابن الهيثم – مصر
١٨. الرد على النصارى لإبي البقاء صالح الجعفري المصري – مكتبة وهبه – مصر .
١٩. مسألة صلب المسيح بين الحقيقة و الإفتراء – أحمد ديدات ، ترجمة : علي الجوهري – دار الفضيلة .
٢٠. المسيح في الإسلام – أحمد ديدات ، ترجمة على الجوهري – دار الفضيلة .

المحتــويات

	رقم الصفحة
١- مقدمة	١
٢- القرآن الكريم و عقيدة النصارى	٥
٣- القرآن الكريم و الكتاب المقدس	١٥
٤- القرآن الكريم و التثليث	٢٩
٥- القرآن الكريم و المسيح عليه السلام	٤٣
٦- الشفاعة بين الإسلام و عقيدة النصارى	٥٣
٧- الكفارة بين الإسلام و عقيدة النصارى	٦٣
٨- ... وبعد ،،،	٧٢
٩- المراجع	٧٢

© حقوق النشر و الطبع و التوزيع : ملك عام للجميع بشرط عدم التغيير في المحتويات .